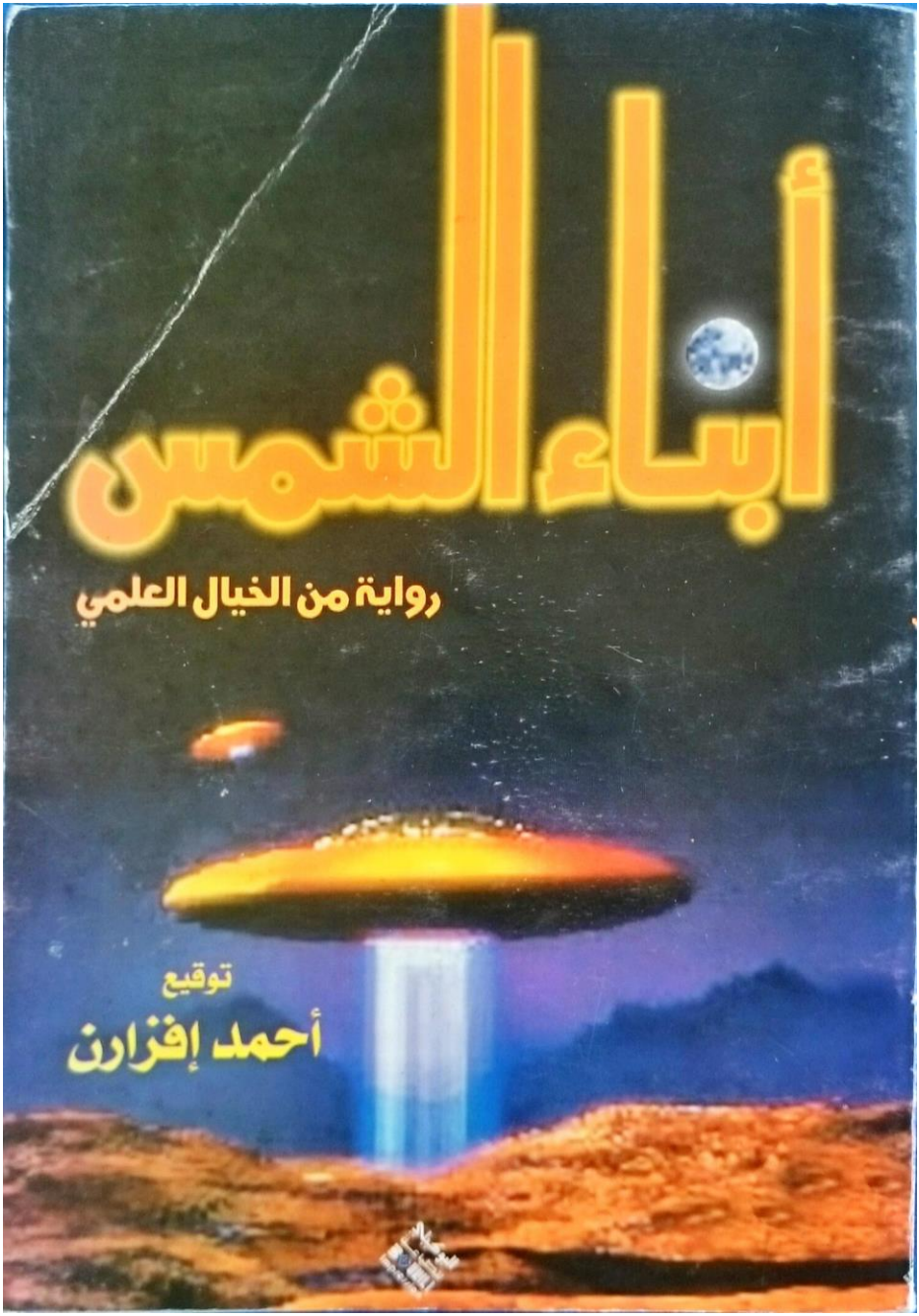
أبناء الشمس
رواية من الخيال العلمي
توقيع
أحمد إفزارن

الطبعة الأولى
2005

رقم الإيداع القانوني
2005 / 0142

الرقم المعياري الدولي للكتب
ISBN 9981 - 45 - 082 - 0

البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع
43، زنقة محمد عبده – القنيطرة / المملكة المغربية
هاتف : 00 99 37 037 (212+) - 37 99 37 037 (212+)
فاكس : 35 99 37 037 (212+)
بريد إلكتروني : boukiliimpression@menara.ma : E-mail

أبناء الشمس

رواية من الخيال العلمي

توقيع

أحمد إفزارن

□ اختارتْ " عبلة " أسطوانة..

تأمَّلتْها كأنما تستشفُّ سرًّا، ثم وضعَتْها كي تدُور..

كانت الموسيقى أخّاذة .. وصوتٌ شجيٌّ يُردد : « نحنُ أبناءُ الشمس .. من صُلبها جئْنا .. كالفراشات .. على النور حائمات ... » ..

التفتتْ " عبلة " إلى لوحة مُعلّقة على الحائط..

رنَّ الجرس .. فتحَت الباب.. إنَّهُ " الروبوت " في لباس الخادم .. سألتْه عن " سليمان " .. أجَاب أنْ سيأتي بعد حين ..

توجَّهَ الروبوت " الخادم " إلى المطبخ ..

واستوَتْ " عبلة " في جلستها .. عادتْ تتأمّلُ اللوحة.. مثلُ هذه مُعلَّقةٌ بكل بيْت .. هي محورُ كل حديث .. شعارُ كل الناس في هذا الزمن .. الشمسُ في اللّوحة تنفجر .. تنفثُ لهيبَها الأحمر .. والكواكبُ تشتعل .. الحياةُ تحترق ..

– إيه على الشمس !

تأوَّهَت " عبلة " وهي تستحضر القدر الإنساني مع البأس : «قريبًا تدخُلُ الشمس مرحلةَ اليأس ! »..

والهاتفُ يرنّ ..

إنها " هيفاء "، العالمة في " المزاجية الشّمسية " .. تقول : «لا تنسيْ موعدَنا في " شارع البحر "! »..

– نعم، يا أعزَّ صديقة .. سأكون في الموعد ..

وقالت " هيفاء " : «سيكونُ معكِ " سليمان " و" الخادم" ؟ يجبُ أن يكونَا معك .. فعلينا أن نحضُر في " شارع البحر"، وبالكثافة المطلوبة ! »..

أجابت " عبلة " : « طبعًا يا عالمتنا الكبيرة .. لا بُدّ أن نشارك في تظاهرة الشمس » ..

ثم تأوّهَتْ : « إيه على الشمس ! قريبًا تجتاحُها الشيخوخة .. قريبًا تكونُ قد قد استهلكَتْ آخرَ وجباتها من الغازات .. من الهيدروجين .. قريبًا تلفظُ ما تبقّى من شُحْنتها .. من النّار .. وتحرقُ أُسْرتَها الكوكبية، قبلَ أن تهدأ .. وتستسلم للصقيع .. فماذا فعلنا لإنقاذ الشمس ؟ »..

– وإلى أين المفر ؟

السؤالُ من " الخادم " : « أين المفرُّ عندما تحتضرُ الشمس؟ وتفقدُ الأرضُ بحارَها وحرارتَها وغلافَها الغازي؟ أين المفرُّ عندما يكتسحُها الجليد؟ » ..

حرّكتْ " عبلة " رأسَها : « عندئذٍ يكونُ الإنسانُ قد استوطنَ كوكبًا جديدًا .. في مدار نجمٍ آخر »..

□ سُمعَ وقعُ أقدام ..

إنهُ " سليمان " داخلٌ في مجال المراقبة المنزلية..

تحوَّلَ الحائطُ إلى شاشة..

هو ذا " سليمان " بقامته الطويلة، يُحيّي " عبلة " من الشاشة .. ثم يَفتحُ الباب ..

انصرفَ " الخادم " لإعداد الشاي ..

قال " سليمان " : « المركبة رقم عشرة حطّتْ بكوكبٍ كأنهُ الأرض .. شمسُه في ريعان الشباب .. لكنه بدون غلافٍ جوي .. ولا بحرَ فيه ولا أوكسيجين »..

أوكسيجين ؟ مسحَتْ " عبلة " جبينَها : « وهل الأوكسيجين ضروري للحياة ؟ هل لا بُدَّ كي تستقرَّ الحياةُ أن يكُون مسرحُها نسخةً من الأرض ؟ وأذكياؤُها على هيئة الإنسان ؟ »..

وأطلقَتْ " عبلة " أسطوانة أخرى ..

وبدأتْ تُغني .. ومعها يُردد " سليمان " : « نحنُ فراشات .. من الشّمس آتيات .. وللنُّجوم ذاهبات .. حياتُنا أوكسيجين ونيتروجين وكربُون .. وغيرُ هذا .. فيا مالك الشمس ! يا أيها المجهول ! يا من أنتَ فينا ونحنُ إليك .. أيُّها المذكورُ في كُل نبضة .. إنا حياةٌ من حياتك .. فراشاتٌ حول أنوارك .. فقُدْ خُطانا .. سِرْ بنا إلى كوكبِ الحياة .. إنَّا تائهون .. وأنتَ أنتَ المنقذُ الهادي ! »..

دخلَ " الخادم " بفنجانيْن .. وضعهُما على المائدة ..

وقال : « عليكُم بمُخطط طويل الأمد .. مخطّط يستوجبُ إنجازه قرونًا من الزمن .. وتعبئةَ أجيّال وأجيال .. إنه التأهُّبُ لعصر ما بعد الأرض .. ما بعد الشمس .. فعليكم أن تُخطّطوا لهجرة قادمة .. لا خيار لكم إلا هجرةَ الأرض .. ستَهْجرُونها حاملين بُذورَ الحياة .. والذكاء .. والإيمان .. فمُستقبلُكم هناك ... وراءَ الشمس ! » ..

- نعم .. وراء الشمس ..

ابتسمَ " سليمان " للرّوبوت " الخادم " : «هكذا يجبُ أن تبقى .. حكيمًا .. عونًا للإنسان في مُواجهة المصير » ..

وعلّقتْ " عبلة " : « بل هو كذلك .. إنهُ لنا خيرُ عون .. " الخادم " حافزُنا لأن نتشبَّث بالأمل .. والعمَل .. فالكونُ نجومٌ وكواكب، وأيضًا عملٌ وطموح ! » ..

وأشرقَ وجهُ " سليمان " : « سنكونُ أُسْرةً واحدة .. أجيالاً مُتعاونة .. مُتكاملة .. من أجل الهدف المشترك .. هو ذا أسمَى هدف.. أن يُتوّج الإنسانُ وجودَه على الأرض بالكفاح لإنقاذ الحياة » ..

قالت " عبلة " : « قد يطولُ بنا البحثُ عن كوكبٍ صالح للحياة ! »..

أجاب " الخادم " : « عندي لكُم معشرَ الآدميين حلٌّ آخر .. هو الرحيلُ بكوكب الأرض، إلى مدار بعيد ! » ..

الرحيل ؟ علَّقت " عبلة " : « تلك نظريةٌ قديمة .. نظريةُ إفراغ المحيطات من مياهها، بنسبة عشرة بالمائة .. هذا التقليصُ المائي كفيلٌ بتحريك الأرضِ من موقعها .. كفيلٌ بإبعادها عن الشمس .. وعندئذ لن يصل إلَى الأرضَ من الحرارة سوى ما يكفُلُ انتعاشَها .. وما يكفي لاسترسال الحياة الأرضية دافئةً مُضاءَة » ..

قاطعَها " سليمان " : « هذا حلٌّ مُمكن .. ولكنهُ مؤقت .. مُجرَّدُ ربحٍ للوقت »..

– هناك حلٌّ ثالث ..

قال " الخادم " : « هو تنشيطُ الشّمس .. تغذيتُها بقذائف الهيدروجين .. تحريكُ النار الراكدة فيها .. إنه الحلُّ الناجعُ لإسعافها من الشيخُوخة والاحتضار .. هكذا تستعيدُ الشمسُ شبابَها .. والأرضُ استقرارَها .. والحياةُ البشريةُ استمرارَها » ..

وتَدخَّلَ المذياعُ في هذه اللحظة : « المركبةُ رقم تسعة أطلقَتْ قذائفَ هيدرُوجينية على نجمٍ يحتضر .. إنه أشبهُ ما يكون بالشمس .. التجربةُ ناجحة .. فقد أفادت أولى التحليلات أنّ النجم سوف يستعيدُ

شبابَه .. سيلمع كما كان .. يلمعُ لمدة طويلة .. لملايير السّنوات القادمة.. بيْد أن هذه التجربة لا تكفي .. فلا بُدّ من تجاربَ مماثلة على نجومٍ هنا وهناك، قبلَ اختيار الوقت المناسب لحَقْنِ الشمس بقنابل الهيدروجين » ..

علَّقَ " سليمان " : « هذا هو الحلُّ المناسب .. فأن نُعالج الشمسَ من الشيخوخة، نُنشّطْها من جديد ! »..

وسألتْ " عبلة " عن الساعة، أجابها " سليمان " : « هذا وقتُ الخروج ! »..

وخرجا من المنزل، يدًا في يد..

وخلْفهُما الروبوت " الخادم " ..

□ وصلوا إلى " شارع البحر " ..

وجَدُوا في انتظارهم صديقةَ العائلة، الدكتورة " هيفاء "، العالمة في " المزاجية الشّمسية " ..

حركةُ النّقل توقفت في هذا الشارع الطويل .. هو الآن مُكتظٌّ بالمارّة .. الجماهيرُ اليومَ في " عرس الشمس " ..

السّماءُ زاهية .. وأغنيةٌ تَصْدَح : « هذه أرضُنا .. والحياةُ باقية .. بُوركت يا أمَّنا الشمس ! » ..

وفي الأجواء دورياتُ الأمن تُراقبُ الجماهير ..

وعلى الوجُوه انشراحٌ وبشاشة ..

" هيفاء " في مُنتهى الحماس ..

التفتَ إليها " سليمان " : « لا حديث للناس إلا عن الشمس .. ما

العملُ لإنقاذها من الشيخوخة ؟ » ..

وقالت " عبلة " : « ها نحنُ نرى كيف يستغلُّها الكثيرُ من الطامحين إلى كراسي الانتخابات ! » ..

ابتسمت عالمةُ " المزاجية الشّمسية " : « الانتخاباتُ كثيرًا ما تكونُ بلا ضمير، خاصة عندما لا يكونُ الناخبُون في مستوى المسؤولية المطلوبة ! »..

وتدخّلَ الروبوت " الخادم "، مُوجِّها كلامَهُ إلى العالمة : « نحنُ الثلاثة اخترْنا أفضلَ طريقة يمكن بها إعادةُ الشباب إلى أمّنا الشمس، وهي حقنُها بصواريخ الهيدروجين .. بهذا سنُنشّط فُرنَها النّووي، فتُطلقَ ضوءَها وحرارتَها بما يكفي لإنعاش الحياة على الأرض »..

ربتت العالمة " هيفاء " على كتفه : « هذا أمرٌ ما زال مثارَ تساؤلات .. فالقضيةُ الشمسيةُ ليست بهذه البساطة .. ولا أحدَ يقبلُ المشروع القاضي بإفراغ كوكب الأرض من نسبة من مياهه، بهدف تحريك الكوكب من مكانه كي يأخُذ موقعًا قريبًا من الشمس .. فحتى إذا تحركت الأرضُ من مكانها، وأخذت مدارًا قريبًا من الشمس، فإنّ هذا لن يكون الحلَّ الأنجع .. وعلينا أن نكون واقعيين، فنبحث عن حلّ منطقي في مستوى تعامُلاتنا العلمية مع الفضاءات الكونية »..

وسكتتْ " هيفاء " ..

وتدخّلَ " سليمان " : « لعلّك تُخْفين أمرًا يا عالمتنا الكبيرة .. فكُوني صريحةً معنا .. ماذا قرّرتُم أنتمَ أعضاءُ " مجلس الفُهماء " ؟ » ..

وأضافتْ إليه " عبلة " : « أنت يا صديقتي العزيزة، رئيسةُ المجلس .. " مجلس الفُهماء " .. فمتى يُخبرنا المجلسُ بالحقيقة ؟ إن الصمت يجعلُنا نُخططُ كلٌّ بطريقته الخاصة، فنتصوّرُ أنّنا قد وجدْنا الحل .. وفي الأخير،

نُفاجَأ بأن حلُولَنا مجردُ سذاجات .. فأين الحقيقة يا دكتورة " هيفاء " ؟ هل في إبعاد الأرض عن مكانها الطبيعي، أم تحريكُ أعماق الفُرن النّووي للشمس ؟ » ..

ابتسمَ " الخادم " وهو ينظر إلى عالمة " المزاجية الشّمسية " ..

وخاطبتهُ " عبلة " : « ابتَسِمْ كما شئتَ يا أعزَّ روبوت، فأنتَ في البداية والنهاية غيرُ معني لا بحياة الشمس، ولا بحياة الإنسان ! » ..

وتدخّلت الدكتورة " هيفاء " : « كلُّنا معنيُّون .. وحتى الجماد معني .. وهُنا تكمنُ أهميةُ اللغز الشمسي .. فقد صارت الشمسُ محورَ الأحاديث في كل مكان، في الشارع، في المؤسسات العمومية، في المنازل، في المعابد، في المدارس .. الكلُّ يبحثُ عن حلّ .. الكلُّ يُريدُ تشبيبَ الشمس، ففي إنقاذها إنقاذُ الحياة .. والإنقاذُ يكمُنُ في إيجاد مكان مُناسب لاستمرارية هذه الحياة » ..

وقال " الخادم " : « الناسُ ليسوا في عُمقهم قلقين على مآل النجم الشمسي، بل على فُقدان الحرارة والأضواء التي تصنع الحياة الأرضية .. إنّنا أمام دفاع آدمي عن الحياة، وأمام استماتة من أجل البقاء .. نحنُ في خوف لا على الشمس، بل على وُجودنا .. فأنتم الآدميون ونحن المعدنيون، ومعنا مختلفُ مكونات النشاط الأرضي، نبحثُ عن وجودنا المستقبلي .. وهذا الوجودُ لا يتحدّدُ إلا بتحديد مُستقبل الشمس » ..

□ وسُمع صوتٌ من آخر الشارع الكبير ..

التفتت الجماعة .. كانت قافلةٌ من الشاحنات آتيةً من الأفق ..

وتظهرُ على الشاحنات، المزيّنة بألوان قوس قُزَح، شابّاتٌ وشُبّانٌ

في رقصات كَرْنَفَالية على نغمات فرقة موسيقية صاخبة ..

وتقترَبُ القافلةُ أكثر ..

وتفسحُ الجماهيرُ مساحة أمام القافلة ..

وتهدأُ الموسيقى ..

وهذه شابةٌ تُغنّي : «سلامٌ على السماوات .. السلامُ على الشمس في نبضاتها وإشراقاتها .. السلامُ عليها في قُدراتها على التّوليد والتّجدُّد والتّمطُّط ... » ..

وتنطلقُ " هيفاء " راقصة في المساحة الفارغة أمام القافلة ..

العالمةُ الكبيرةُ ترفعُ يديْها، وتدورُ في حركات أنثوية مُثيرة، وهي تستقبلُ القافلة ..

تتوقفُ القافلةُ عند " هيفاء " .. وهذه تواصلُ رقصاتها .. والموسيقى تُواكبُ حركات عالمة " المزاجية الشّمسية " ..

ثم ينزلُ من ظهر القافلة إلى الساحة شَبّانٌ وشابّات، فيتحوّلُ المكانُ إلى ميدان مُوحّد .. الكلُّ يرقُصُ للشمس ..

والشمسُ في عزّ النهار تُضفي على " شارع البحر " حرارةً خاصة ..

وتنضمُّ " عبلة " و " سليمان "، ومعهُما " الخادم " ، إلى الراقصات والراقصين ..

ويلتحقُ بالجميع كلُّ الناس، ليُصبح الشارعُ طولاً وعرضًا، رقصًا في رقص، وموسيقى في موسيقى ..

احتفاليةٌ من أجل حياة الشمس ..

تظاهُرةٌ من أجل الشمس ..

وتظهرُ في السماء طيُورٌ بأشكالٍ وأنواع، فتُشكل أسرابًا تُحلقُ فوق

الجماهير الراقصة .. وتقفزُ من أمواج البحر أسماكٌ وأسماك .. هي أيضا تشاركُ في احتفالية " شارع البحر " ..

الكلُّ في " شارع البحر "، برًّا وبحرًا وجوًّا، يرقُصُ ويُغنّي للشمس ..

ويبدأُ مجموعةٌ من الشبان والشابات بالحديث إلى الطيور والأسماك، بواسطة الإشارات، فتتمايلُ الطيورُ والأسماك للإشارات اليدوية التي تُشبهُ حركات قائد الفرقة الموسيقية العازفة ..

ويُعلقُ " الخادم " : « هؤلاء الشبابُ يُتقنون لغات الطيور والأسماك » ..

والمعروفُ في هذا الزمن أنّ كثيرا من الحيوانات مزروعةٌ فيها أجهزةٌ للتواصل .. وبفضلها يستطيعُ الإنسانُ أن يُخاطب الطيور والأسماك، ويُوجّهها، بل ويشارك بها في مسابقات موسيقية أو رقصية أو رياضية، بأوامر يُصدرُها إليها بآلاتٍ يدوية أو ميكروفونات مدفونة في لباسه ..

وتُشاهَدُ الطيورُ في الأجواء وهي تقوم بحركات متناسقة، وتحليقات تنسجمُ بها مع النغمات والإيقاعات ..

وتندفعُ من البحر إلى الجوّ أسماكٌ من مختلف الأحجام والألوان والأنواع، فترسم بأجسادها لوحات مثيرة على الأمواج ..

واستمرّ " عرس الشمس "، على هذه الحال، إلى أن أخذ الأيقاعُ اتجاهًا انحداريًا يُعلنُ اقتراب موعد ما بعد الغناء والرقص ..

وتتوقفُ الموسيقى، ويتوقفُ الرقص ..

وتصعدُ الدكتورة " هيفاء " إلى مقدمة القافلة، فيعُمُّ الصمت ..

وتتكلمُ العالمةُ الكبيرة، رئيسة " مجلس الفُهماء " : « هذا يومٌ

يختلفُ عن كل الأيام .. به ينطلقُ عرسٌ لا ينتهي .. إنهُ عُرسُ أمّنا الشمس .. فمن الآن، وإلى قرون قادمة، سيخرجُ الناسُ والحيواناتُ والمعادنُ الذكيةُ إلى الشوارع بين الحين والآخر، في حفلات راقصة للتّذكير بأنّ على الكائنات الأرضية أن تبحث عن حلول للإبقاء على استمرارية الحياة .. وإنّنا نحنُ أعضاء " مجلس الفُهماء " ، نُسجّلُ أنّ بداية الحملة الشمسية تُعتبرُ ناجحة، بدليل أنّنا جميعًا هنا، مع طيور السماء وأسماك البحر، نحيّي أمّنا الشمس التي تُطلُّ علينا من فوق .. فأرجوكم أن ترفعوا رؤوسكم إلى كبد السماء، وأن تُردّدُوا معي أنشودة الشمس » ..

وبدأت الجماهيرُ تُنشد : «يا أمّنا الشمس، منكِ أتيْنا وإليكِ نعُود، ولا حياةَ إلا وأنتِ في سمانا ...» ..

وصفّقت الجماهيرُ بحرارة ..

وانتهى الحفل ..

□ وعادت " عبلة " و" الخادم" إلى المنزل ..

وبقي " سليمان " يُناقشُ الدكتورة " هيفاء "..

طال النقاشُ إلى أن اقترب الغروب .. وقالت " هيفاء " : « سنُودّعُ الشمسَ في مغْربها، ثم نعودُ، كلٌّ إلى منزله .. " عبلة " تنتظرُك .. ويجبُ ألا تتأخّر في الشارع »..

– طبعًا يا صديقة زوجتي !

ووقفَا يتأمّلان الشمس وهي غاربةٌ ببُطء، والناسُ من حولهما غادون ورائحون، وروبوتيون هنا وهناك ما زالوا يبيعون مشروباتٍ وفواكهَ

يابسةً وحلويات وهدايا تذكاريةً وأشياءَ أخرى ..

أشارت " هيفاء " إلى أحدهم، فاقترب .. اشترت عُلبتيْن قدّمتْ واحدةً منهما إلى " سليمان "..

ولكن قبل أن يفترقا، باغتَهُما سربٌ من الطيور ..

حاصَرهُما السّربُ من كل جهة ..

وهذا طيرٌ يُخاطبُهما : « أنا الزعيم .. إنكما منذُ اللحظة رهينتان عندنا، فلا تُقاومَا .. سِيرَا معنا بهدوءٍ وتعقُّل، ودون التفاتٍ لا إلى يمين ولا إلى شمال ! »..

اندهشَ " سليمان " لهذا الأمر .. فما سمع أن سربًا من الطيور يُقْدمُ على اختطاف آدميين، لكن الدكتورة " هيفاء " أشارت إليه بعينيْها أن اطْمئنّ !

سارَا جنبًا إلي جنب في "شارع البحر"، وهما مُحاطان بسرب الطيور ..

والناسُ حولهما لا يعرفُون ما يحصل، فمثلُ هذا المشهد مُعتادٌ في هذا الزمن، حيثُ انتشرت الرياضاتُ والرقصاتُ الأرضيةُ والبحريةُ والجوية لأسراب الطيور والأسماك ..

الناسُ يعتقدون أن " هيفاء " و" سليمان " هُما يُوجّهان سرب الطيور للعودة إلى المنزل، ولا يخطرُ على بال أحد أن هذه الطيور هي تقتادُ " سليمان " والعالمة " هيفاء " إلى مكان مجهول ..

وفي غفلة من العيُون، أمرَ كبيرُ الطيْر العالمة " هيفاء " قائلاً : « اركبي على ظهري ! »..

وقال طائرٌ آخر : « " سليمان " ! هذا ظهري .. فاركبْ فورًا ..

ودون تردُّد ! »..

وطارت بهما الطيورُ في الأجواء ..

□ انتظرتْ " عبلة " أن يعود " سليمان " إلى المنزل ..

ومرت ساعة، فساعتان، فثلاث ساعات .. وطال الانتظارُ ليلاً بكامله، دون جدوى ..

– أين " سليمان " ؟

لا هاتفُ قميصه يُجيب، ولا هاتفُ السروال، ولا هاتفُ الحذاء ..

بدأ القلقُ ينتابُها : « ألا تكونُ " هيفاء " قد دبّرت أمرًا ؟ ألا تكونُ قد فعلتْها ؟ ولكن فعلتْ ماذا؟ وهل يُعقلُ أن تفعل شيئًا مُضرًا بي، وهي أعزُّ صديقة لي ؟ »..

انتظرَتْ إلى أن انتصف النهار .. وأمرَت " الخادم " : « اطلعْ إلى السطح فورًا .. وافتحْ عدسات البحث عن " سلَيمان " ! »..

طلع " الخادم " إلى سطَح المنزل .. وفتح صندوقًا حديديًا به أربعُ عدسات صغيرة .. كلُّ واحدة مُوجّهةٌ إلى جهة من السماء .. إحداها باتجاه الشرق، وأخرى باتجاه الغرب، وثالثة إلى الشمال ورابعة إلى الجنوب .. كلُّها تبحث عن " سليمان "..

ثم نزل " الخادم "..

وفتَحَت " عبلة " شاشةَ التّخاطُب المثبّتَة على جدار الغُرفة، ثم سألت : « أين ذهب " سليمان " ؟ »..

وأبقت الشاشةَ مفتوحة، وهي تعرفُ أنها لن تتوقّف إلى أن تجد " سليمان " أينما كان، في السماء أو البحر أو تحت الأرض ..

وطرَقَ بابَها " الوسواس "..
لأول مرّة تراه ..
قال لـها : « " سليـمان " مُـختـبئٌ في مكانٍ آمن .. والمكانُ تعـرفُهُ " هيفاء " » ..
ثم ارتفع صوتُ " الوسواس " : « " سليمان " مُختبئٌ مع " هيفاء " ! »..
وأصيبتْ " عـبلة " بالفزَع .. وصرختْ : « أين أنت يا روبوت ؟»..
كان " الخادم " قد خلد إلى النّوم ..
نادتهُ مرةً أخرى فثانيةً وثالثة، ثم اقتـحمتْ غُرفتَه .. وجدتهُ يَشخرُ إلى جوار " خادمة آلية " في طور التّدريب !
صرختْ في وجهه : « أحـتى أنتَ تشخرُ يا أبله ؟ انهَضْ للبحث .. ابحثْ عنهُ في أيّ مكان، ولا تعُدْ إلى هُنا إلا وهو معك ! »..
نهض " الخادم " بتثاقُل، وارتَدى بذلتَهُ ونظارتَهُ وسمّاعتَه، وقبلَ أن يخرُجَ أوقفتْه " عبلة " : « اسْمَعْ ! إذا لم تجده، فابحثْ عن " هيفاء " .. هل فهمت ؟ ابحثْ عنها هي الأخرى ! »..
خرج " الخادم " في حالة غير عادية ..
وبعدئذ نطقت الشاشـةُ المنزلية : « " سليمان " موجـودٌ مع " هيفاء " في السماء ! »..
- يا إلهي ما العمل ؟ وفي أية سماء هو ؟
ردَّت الشاشة : « السماء الأولى! »..
- وماذا يفعل ؟
قالت : « يفعلُ ما يفعل »..
- وماذا يفعل ؟

قال : « يفعلُ الكلام لكلام مع " هيفاء " ! »..

أطفأت " عبلة " الشاشة، وألقت بجسدها على فراش الراحة، ولكن أيةُ راحة ؟

عندئذ طرقَ بابَها " الوسواس " من جديد، بيْد أنها طردتهُ شرَّ طردة : « اغرُبْ عن وجهي أيها اللعين ! فهل تأتيني بغير الأخبار المُقْرِفَة ؟ »..

التزم " الوسواس " الهدوء، فقال : « هذه المرة أتَيتُكِ بخبرٍ مُفرح .. ألا تُريدين سماعه ؟ » ..

أجابتْ " عبلة " : « تكلّمْ ! ما الخبر ؟ » ..

قال " الوسواس " : « أنا أعرفُ مكان " سليمان " » ..

– وأين هو ؟

قال : « منذ قليل كان في الجوّ، والآن هو في البحر »..

– نزل من السماء إلى البحر ؟

أجاب : « نعم »..

– وماذا يفعلُ في البحر ؟

أجاب " الوسواس " ضاحكًا : « يفعلُ ما يفعل » ..

– وماذا يفعل ؟

أجاب: « يفعل السباحة ! »..

– مع من ؟

قال : « مع " هيفاء " ! »..

– وهل تعرفُ مكانه بالضبط ؟

قال : «نعم.. وإذا أردتِ زيارته، فأنا على استعداد ... ! »..

نظرتْ " عبلة " إلى " الوسواس " نظرة فاحصة، للتأكُّد من أنه صادق، ثم قالت: « هيّا بنا إليه ! »..

□ كان " الخادم " في الشارع ينظرُ يمينًا وشمالاً ..
توقّفتْ عندهُ دوريةُ المراقبة الروبوتية، فارتَبَك ..
– لماذا أنتَ هكذا ؟
لم يعرف كيف يُجيب، فشكّتِ الدوريةُ في أمره واقتادتْه إلى مخفر التحقيق ..
وبدأت الأسئلةُ تنهالُ عليه، فلا تزيدُه إلا ارتباكًا ..
أدركت الدورية أن دماغه قد انفلَت، ولم يعُد يتذكّرُ شيئًا !
وأدخلوهُ إلى " بيت الضائعين " ..
فتح " الخادم " عينيْه، فوجد نفسَهُ في صالة بها كثيرٌ من " الناس الآليين " .. هذا يُعالَجُ من كَسْرٍ في الظهر، ذاك مُصابٌ في قدمه، ثالث في صدره .. وأغلبُهم يُعانون عاهات الدماغ ..
ونشأتْ بين الروبوت المعتُوهين علاقاتٌ لا تخلُو من ودٍّ وحميمية ..
ولأول مرة يجدُ " الخادم " نفسَه في حالة تجعلُه يُفصحُ عما بأعماقه، بدون مُراقبة أو تحفُّظ.. يقولُ كلَّ ما يخطرُ بباله، بحُرية تامة، ودون اعتبارٍ لأيٍّ كان ..
سمعَ الكثيرَ عن متاعب الآخرين في هذه الصالة العلاجية ..
وجُلُّهم يُردّدُون أنهم ضحايا لسوء المعاملة البشرية ..
وقال أحدُهم : « أنا ضحية لكل التجاوُزات التي يُمكن أن تخطُر على بال .. فرغم حرصي على القيام بكلّ الخدمات المطلوبة منّي، وحتى

اللاأخلاقية منها، فإنهم يمارسون عليّ كل أصناف التّمييز العُنصُري .. وأنا دائما في نظرهم مُجردُ معدني، بلا أيّ إحساس.. أفعلُ كلَّ ما يطلبُون منّي، ولا أسمعُ منهم حتى كلمة شُكر، وكأن الشكر لا يستحقُّه إلا الآدميون » ..

وقال آخر : « مارسوا عليّ كل أنواع التّعذيب .. إنهم ينتقمُون من غيرهم، ولكن في شخصي .. فينهالون عليّ بالسبّ والقذف، ويمارسون كلّ السلوكات السّادية، ويُفرغون عليّ أمراضَهم اللاشعُورية، بشكلٍ مُقرِف، لدرجة أنّني انفجرتُ صارخًا في وجه أحدهم .. وقد كدتُ أنقضُّ عليه، لولا أن تدخّل زميلٌ لي في الخدمة، فتمكّنَ من تهدئة أعصابي، ثم همس في أذني أن هؤلاء لا يستحقون حتى أن نصفعَهم.. ولكن من لم أصْفَعهم صفَعُوني واعتدوا عليّ، فكسروا ذراعي، وهأنذا هُنا في " بيت الضائعين " »..

شكاياتُ الروبوت كثيرة، فمن يُصنفُهم ؟

□ وفي " باخرة الطيور "، يبدأ التّحقيقُ مع العالمة " هيفاء "، وآخرُ مع " سليمان " المحتجَزِ في غُرفةٍ مُجاوزة ..

سألها الطيْرُ: « هل تعرفينني ؟ »..

أجابت العالمة " هيفاء " : « أنت طيرٌ معدني ! »..

ضحك الطير : « إجابة سخيفة ! أنا فعلاً روبوتٌ في شكل طير .. أطيرُ وأتحكمُ في الطيور .. وأنا وزميلٌ لي، أقدَمنا على اختطافكُما، أنتِ والمدعُو " سليمان " .. فهل تعرفين السبب ؟ »..

قالت : « نعم .. هو الإفصاحُ لكم عن معلومات ! »..

وضحك الطيْر : « هأنت تختصرين المسافات .. ما دُمت تعرفين السبب، فقد لا تضطرّينا إلى انتزاع هذه المعلومات بطريقة النّقْر .. فهل سمعت عن هذه الطريقة ؟ »..

قَالت : « لا .. لم أسمع بها .. ولكنّني أعرفُها معرفةً تامّة .. فهل تُريدُ أن تعرف كيف أعرفُها ؟ »..

أجاب الطيْر : « لا تُضيّعي وقتي .. تكلّمي قبل أن أغضب ! »..

قالت العالمة " هيفاء " : « طريقةُ النّقر أنا مُبْتكرتُها .. وأنتَ شخصيًا، أنا صانعتُك، ومُعلّمتُك .. فهل نسيتني يا " جُوبَا " ؟ »..

كانت " جُوبَا " كلمةَ السّرّ التي تشُلُّ هذا الطّير ..

وكرّرتْ على مسمعه اسم " جُوبَا "، فانتصبَ في مكانه، وأدّى لها " تحية الطيران "، ثم بدّلَ لهجتَه : « أنا رهن إشارتك يا مُعلّمتي .. فلماذا أنت هُنا ؟ ومن هو الحمارُ الذي جاء بك ؟ » ..

قالتَ العالمة " هيفاء " : « الحمارُ غيرُ مهمّ .. المهمُّ هو عملُك .. فأنا ما علّمتُك كي تختطفني .. فمن أمرَكَ بهذه الفعلة ؟ »..

□ سكتَ الطير ..

لم يرُدَّ بأية كلمة ..

أدركت العالمة " هيفاء " أن مُجرّد الكلام قد يكشفُ أمرَه .. فهو روبوت، وكلُّ كلامه مبثوثٌ إلى من يُراقبُونه أو يتجسّسُون عليه أو يُوجّهُونه من بعيد .. تذكرَتْ هذا وغيّرَت اللهجة : « اسألْني ما تشاء ! »..

فهم الطيرُ ما تقصدُ العالمةُ فسألها : « ماذا تعرفين ؟ » ...

قالت : « أعرفُ أن من بعثكَ بليدٌ كلَّ البلادة.. فهل يكفي هذا ؟ » ..

تظاهر الطيرُ أنه بالفعل يستنطقُها : « إذا لم تتكلمي، فسأضطرُّ لأن أستخدم معكِ أسلوبًا آخر ! »..

قالت العالمة : « أعرفُ أن الأرض مُقبلةٌ على تطليق الشمس ! »..

- هأنتِ في الطريق الصحيح .. وماذا تعرفين عن الشمس ؟

قالت : « الشمسُ تُراقبُنا من السماء »..

- وماذا أيضًا ؟

قالت : « حتى أخلاقُنا تُراقبُها الشمس .. وكثيرٌ من أخلاقنا لسنا نحنُ مَصْدرَها، بل الشمس »..

- وكيف عرفت هذا ؟

قالت : « أنا عالمةٌ في " المزاجية الشّمسية " .. وأستطيعُ أن أقرأ بعضًا ممّا وراء الأشعّة الشمسية .. إن الشمس لا تبثُّ إلينا الأضواء والحرارة فقط، بل تبثُّ أيضا إيحاءات تحثُّنا على سلوكات مُعيّنة.. إنها تبثُّ إلينا الأخلاق .. كلَّ أنواع الأخلاق .. أفهمت يا طير ؟ »..

- لا .. لم أفهم ..

قالت : « هذه الشمسُ تتحكّمُ فينا، تُسيطرُ علينا، تُوجّهُنا .. وبتعبير آخر، لا يمكنُ أن نعرف أنفُسَنا بدون معرفة الشمس » ..

- وماذا أيضًا يا دكتورة ؟

قالت : « كثيرٌ من الأحداث تكُونُ الشمس على علم بها، قبل أن تقع عندنا في الأرض .. إنها إذا " عَطَسَتْ "، أُصيبت الأرضُ بَعْدَها بالزُّكام »..

وضحكت العالمة " هيفاء "، ثم أضافت : « إذا كان القمرُ يُؤثّرُ على الناس عندنا، خاصة في ليلة كماله، عندما يكونُ بدرًا، فإن الشمس

تؤثّرُ فينا جميعًا من خلال تأثيراتها على كلّ الكواكب السابحة في مداراتها » ..

قال الطير : « استنطاقُك يسيرُ على ما يُرام .. وأُريدُك أن تكوني أكثرَ تعاونًا فتفْصَحي عن موقفك من " عرس الشمس " عندنا .. ألا تُفكّرين في التّرشُّح للانتخابات ؟ »..

- لا..

- لماذا؟

- لأنّ الانتخابات عندنا كذبٌ في كذب..

وسألها : « وماذا عن " عرس الشمس " ؟ »..

قالت : « هو عُرسُ قرونٍ وقُرون .. هذه توعيةٌ بأهمية الشمس، تُتناقَلُ من جيل إلى جيل ... » ..

وقاطعَها الطير : « ومَنْ في المرشحين سيحظَى بدعْمك ؟ »..

لم تتمكّن العالمة " هيفاء " من الإجابة، ففي هذه اللّحظة بالذات، فُتحت الباب ..

❐ هو " الوسواس " قد دخل، وبرُفقته " عبلة " ..

ومن النظرة الأولى، أدركتْ " عبلة " أن العالمة الكبيرة في حالة اعتقال ..

قال " الوسواس " : « هذه ضيفتُنا .. ونحنُ بصدد التّحقيق معها ... هل تُريدين أن تريْ " سليمان " ؟ لا شكّ أنكِ مُشتاقةٌ إليه .. فتعالي معي ! »..

ذهب بها إلى غُرفةٍ مُجاورةٍ صغيرة : «ها هو ! »..

كان " سليمان " ينزفُ من شدة نقرات سجّانه الطير ..

قال " الوسواس " : « كنتُ صادقًا معك عندما أخبرتُك أنهما موجُودان في البحر .. نحنُ الآن في باخرة، على مياه البحر .. ألستُ صادقًا ؟ » ..

جحظتْ عينَا " عبلة " ..

وانقضّتْ عليه : « ماذا فعلتَ بهما أيُّها الوغد ؟ » ..

أجابَ " الوسواس " بلهجة ساخرة : « اعتقلتُهما .. وإذا سألتِ " لماذا " ؟ فالجوابُ هو " لكي تكتشفيهما في مُعتقل " ! »..

ثم التفتَ إلى الطير السّجّان، فَسأله : «أين زميلُكَ " جُوبَا " ؟ أما زال في الغُرفة الأخرى مع " هيفاء " ؟ ائْتِني به فورًا ! »..

وبعد لحظات دخل " جُوبَا " ..

بدا هادئًا ..

نظر في وجه زميله نظرة سريعة .. وفجأةً طار وأخذ يُوجّهُ إلى " الوسواس " نقرات حادّة ..

وانضمّ إليه زميله، فواصلا النقرات تلو الأخرى، ولم يتوقّفا إلى أن تَحوَّلَ " الوسواس " إلى جسدٍ هامد ..

انتهى " الوسواس " ..

" جُوبَا " سيّدُ الباخرة ..

والطيورُ بأمره تأتمر ..

وقال " جُوبَا " لعالمة " المزاجية الشّمسية " : «كلُّ ما أعرف عن " الوسواس " ، هو أنّني لا أعرفُ شيئًا على الإطلاق .. ولا أدري من أين أتى، ومن هو ؟ ففجأةً، وفي وقت من الأوقات، وجدتُ نفسي مُطوّقًا

محكومًا بأوامره .. وجدتُني مُسيّرًا بهذا الشخص » ..

وسألتهُ " هيفاء " : « وما علاقتُه بالباخرة .. " باخرة الطيور " ؟ »..

ردَّ " جُوبَا " : « ليست لهُ بها أيةُ علاقة .. فأنا اشتريتُها بمُدّخراتي .. وهي تشتغلُ في البحر، صيّادةً ونقّالةً على الأمواج، وحتى في الأجواء.. تشتغلُ في كل الأنشطة البحرية والجوية، تحت غطاء شركة أسّسْتُها تحت اسم " باخرة الطيور " ، ومعي يشتغلُ طاقمٌ من الطيور الصناعية .. ولي هُنا أيضًا طيورٌ طبيعية، وهذه أوكلْتُ لها مهامًا من نوع خاص »..

وسألته العالمة " هيفاء " : « وهل تمكن " الوسواس " من إخضاع كل الطيور ؟ أم أنت فقط كُنتَ تحت توجيهه ؟ »..

قال " جُوبَا " : « وحدي، فقط .. فمُجرد الاستيلاء على دماغي كفيلٌ بإخضاع زميلي وكل الطيور الصناعية والطبيعية.. فالطيورُ الروبوت أنا أتحكمُ فيها بالطريقة التقنية المتداولة، بينما أتحكم في الطيور الطبيعية بتقنية " الهندسة الوراثية " .. فأنا لا أقبلُ أيَّ طير طبيعي للانضمام إلى " باخرة الطيور " سوى بعد أن يكون مجبولاً على طاعتي والانصياع لي وتنفيذ أوامري، بدون أي تردُّد وأيّ نقاش.. إنهُ علمُ " الوراثة " يُمكّننا من تغيير طبائع كل أنواع الطيور، حتى تنسجم وأعمالَنا.. وقد نجح أحدُ الطيور المعدّلة وراثيًا في ارتقاء سلاليم المسؤولية في هذه الباخرة، فأوكلتُ له مسؤولية " المراقب العام " »..

– ألم يُحاول " الوسواس " الوصول مباشرةً إلى دماغ هذا الطير .. " المراقب العام " ؟ »..

ردَّ " جُوبَا " : « لا.. والحمدُ لله على أنْ لم يصلْ ! »..

– ... ؟

قال " جُوبَا " : « لو وصل مباشرةً إلى دماغ أي طير طبيعي هُنا، لكان ذلك نهاية الباخرة برُمّتها.. فمنك يا مُعلّمتي تعلّمنا أنّ تعديل العملية الذهنية لدى أي كائن حي، يُمكنُ أن يجعل هذا الكائن مؤهلاً للتأثير على أيّ كائن معدني .. فلو وصل " الوسواس " إلى دماغ الطير، " المراقب العام "، لَشَحنَهُ مثلاً بأخلاقيات مُضرّة بالجميع، منها السلوكات المنحرفة، والاعتداءات، والجرائم، والحروب.. فالحمدُ لله على أنّ " الوسواس " قد أُوقفَ عند حدّه، بفضلك يا عالمتنا الكبيرة، ولم يجعل " المراقب العام " لا يمتثلُ لأوامريَ أنا مالكُ الباخرة ! »..

□ وفي " بيت الضائعين "، وقعَ تمرُّد ..

الرّوبوت المعوَّقون تمرّدُوا على حُرّاسهم، كلٌّ بطريقته الخاصة، ولسبب ذاتيّ محض..

لكل واحد منهم سبب، ويجمعهُم غضب .. أولاء جميعًا يشتركون في الغضب ..

خرجُوا إلى الشوارع، كلٌّ يصيحُ بطريقته، ويُردّدُ ما يخطرُ على باله ..

وتحوّلت المظاهرةُ إلى أعمال شغَب.. فقد كسّرُوا المتاجر، واقتلعُوا أبواب المؤسسات ..

ولم يتوقّفُوا عند هذا، بل صارُوا يرشُقون الآدميين .. كل إنسان تصل إليه أعينُهم يتعرّضُ للرشق بأي شيء في قبضة الروبوت ..

وحضر البوليس المعدني، بآلياته القمعية، وصار يسحقُ مُتمرّدي

" بيت الضائعين "..

كثيرٌ منهم لقوا مصرعهم، والباقي أُلقي عليهم القبض ..

وفي مخفر التّحرّيات، أُجري مع المعتقلين تحقيقٌ مُفَصّل، فأفادتْ بعضُ التصريحات أن العالمة " هيفاء " هي من حرّض على الشغب ..

وأُوتيَ بالعالمة : « أنت مُتهمةٌ بالتّحريض على العُنف .. فما قولُك ؟ »..

– أنا لا أفهم ما تقصد ..

حدّقَ فيها المحقّقُ بصرامة : « اعترفي بالحقيقة، فلا مجال للتحايُل .. هل تُنكرين أنكِ صانعةُ الطير " جُوبَا " ؟ »..

ردّتْ : « أنا صانعتُه .. ومُعلّمتُه .. ولكن لا علاقة لي بالمشاغبين الروبوت »..

– بل لكِ معهم علاقة متينة !

ثم ضغطَ المحقّقُ على الجرس، فأُدخل إليه روبوتٌ أعرج .. وأشار إليه المحقّقُ أنْ تكلّمْ !

قال : « نعم يا سيدي .. هذه حرّضتْنا على الشّغَب ! »..

انفعلتْ العالمة " هيفاء " وصرختْ في وجهه : « ألا تخجلُ يا حفيدَ " جُوبَا " ؟ »..

كانت هذه كلمة السّر التي تشلُّ هذا الروبوت .. وفعلاً انحنَى برأسه : « عفوًا يا عالمة .. أنا كذّاب ! »..

وحرّكَ المحقّقُ رأسَه، وهو يبتسمُ ابتسامةً غامضة: «الأمرُ واضحٌ يا عالمة .. فهأنت تعرفينهُ حقَّ المعرفة .. وبكلمة السرّ المتداولة بينكُما، تمكنْت لا من إسكاته فقط، بل جعله يُغيّرُ تصريحَه، فيَنعتُ نفسَهُ بالكذاب.. هذا يعني أنكِ من حرّضَهُ وحرّضَ غيرَهُ على الشغب ..

سأُدخلُك إلى " قفص الاتّهام " يا دكتورة .. اعتَبِري نفسَكِ من الآن في حالة اعتقال ! »..

ودخل بوليسي معدني، وسار بها إلى المعتقل ..

□ ذاعَ الخبرُ في كلّ مكان ..

ونشرت الصحافةُ صورة العالمة " هيفاء " وهي في قبضة البوليسي المعدني ..

وأصبحت موضوعَ الخاصّ والعامّ ..

وتحركت فعالياتُ " المجتمع الروبوتي " للدفاع عن العالمة الشهيرة، الخبيرة في " المزاجيةِ الشّمسية ".. كما تحرك " مجتمعُ الطيور "، بقيادة " جُوبَا " ..

وانطلقت " عبلة " ومعها " سليمان "، لإثبات براءة العالمة الكبيرة ...

وبعد أيام، كانت " هيفاء " في " دار الحقّ " ..

كثيرٌ من المحامين الروبوت وقفُوا للدفاع عنها ..

سألها القاضي : « ما اسمُك ؟ وما اسمُ جدّك ؟ واسمُ جدّتك ؟ وما هويتُك الدموية والنفسية ؟ »..

أجابتْ عن الأسئلة الشكلية، ودخلت القضيةُ في صلب الموضوع ..

وصرّحتْ للمحكمة : « أنا عالمةٌ في " المزاجيةِ الشّمسية " .. وهذا علمٌ جديد يتعاملُ مع الشمس لا كفُرْن نووي في فورانٍ لا ينقطع، بل كحالة نفسية .. أجل .. الشمس مثل البشر لها خلفيات نفسية يُصطلحُ على تسميتها بالحالة المزاجية .. فهي ذاتُ مزاج يُستمَدُّ من تفاعُلات كونية .. ويكونُ المزاجُ بمثابة ظلّ الشمس .. نحنُ أمام تناغُم كوني

يجعلُ شمسَنا مثل كل النجوم تتكيّفُ مع كوكبنا الأرضي بضوابط لا تخلُو في حالات معيّنة من مزاجية ...» ..

قاطعها القاضي : « يا عالمة .. لسنا هُنا أمام مُحاضَرة علمية .. إنّنا في محكمة .. نُريدُ جوابا واضحًا حول التّهمة المنسوبة إليك .. فهل أنتِ من حرّض على الشَّغب الروبوتي ؟ »..

قالت : « أنا أعرفُ هؤلاء المشاغبين واحدًا واحدًا .. وأنا من يُعالجُهم نفسانيًا في " بيت الضائعين " .. وليس هناك من يعرفُ " كلمة السرّ " التي هي المفتاحُ إلى دماغ كل واحد منهم، إلا أنا ...»..

اهتزّت القاعة ..

وسألَها القاضي : « وكيف تعالجينهم نفسانيًا ؟ »..

أجابت : « تماما كما يُعالَجُ الآدميون .. فالمرضُ النفساني لم يعُد مقتصرًا على الإنسان، فالروبوت قد أصبح مرآةً للإنسان .. الروبوت استقَى من الإنسان حتى أمراضَه النفسية .. وهذه معضلةٌ يتوجّبُ أن نبحث لها لا عن علاج، بل علاجات .. إنّنا بحاجة إلى علاجات كثيرة، نظرا لتعقيدات الأمراض النفسية التي انتقلَت تَشابُكاتُ عدواها من الإنسان إلى الروبوت »..

وقال القاضي : « هذا اعترافٌ صريحٌ بأنكِ المسؤولةُ الأولى والأخيرة عن أعمال الشغب .. أليس كذلك ؟ »..

أجابت : « لا يا سيدي القاضي .. فمعرفتي لا تعني أنّني الفاعلة .. وإنّني أستغربُ كيف يُمكن أن تَحدُثَ مظاهرةٌ روبوتية بهذا الحجم، وبهذه الكيفية العنيفة، بدون أن تكون " كلماتُ السرّ " قد تسرّبتْ منّي إلى أية جهة أخرى .. أكيدًا، أنا لم أفصح بها لأحد، فهذا سرٌّ مهني

باعتباري أعالجُ هؤلاء بتقنية " المزاجية الشّمسية " »..

وسألها القاضي : « وما العلاقة بين الشمس وعملية الشغب ؟ »..

أجابت : « " المزاجية الشّمسية " تقنية نستمدُّها من الشمس لتطبيقها على كل أنواع وأشكال الروبوت، صغارًا منهم وكبارًا، فنتعامل معهم على أساس أن لهم هم أيضا خلفيات نفسية يستمدُّونها من علاقاتهم مع الطبيعة والإنسان والحيوان وحتى مع الضوء ونقيضه.. ومن هذا المنظور، لا يُستبعدُ أن تكون هذه المزاجية قد أوحتْ إليهم " بكلمات السرّ " ، وبالتالي الأوامر التي حرّكتهم بهذه الطريقة العنيفة.. هذا مُجردُ احتمال ... » ..

- وهل هناك احتمالٌ آخر ؟

أجابت : « نعم، وهذا هو الأرجح .. وهو أن يكون شخصٌ ما، إنسانًا أو روبوتا، قد سرق من دماغي " كلمات السرّ "، واستغلّها لتحريك الروبوت وتحويلهم إلى مشاغبين في الشوارع » ..

وسألها القاضي : « ومن قد يكونُ هذا الشخص ؟ هل هناك شخصٌ بالذات تشُكّين في أن يكون هو الفاعل ؟ »..

- لا أعرف ..

وقال القاضي : « يتّضحُ من تصريحاتك أن الروبوت لا يمكنُ أن يقوم بأعمال شغب، بدون تحريك من " كلمة السرّ " .. وأنت وحدكِ تعرفينها .. وبناءًا على هذا، فأنتِ في موقع اتهام.. وعليك أنَ تُثبتي براءتَك »..

ثم التفت القاضي إلى الأساتذة المحامين : « هل لأحدكم رأيٌ من شأنه أن يُنوّر " دار الحقّ ؟ »..

تقدّم نقيبُ المحامين الروبوت فقال : « سيدي القاضي .. إن العالمة " هيفاء " قد أجابت بكل شفافية، وقالتْ حتى ما يمكن أن يجعلَها مُتّهمة وحيدةً في هذه النازلة.. وهذه الصراحة تُثبتُ في حدّ ذاتها أنها بريئةٌ من التهمة، فأرجو الإسراع في الاستماع إلى الشهود، إحقاقا للحق .. وشكرًا ! »..

– وهل هناك ملاحظةٌ أخرى ؟ السؤال مُوجّهٌ إلى كلّ الأساتذة ..

تقدم مُحام آخر : « أنا يا سيدي القاضي أعرفُ الروبوت المعوّقين حقّ المعرفة، بحُكم أنني أنا أيضا روبوت .. وأعرفُ أنه لا يمكنُ الثقة بهم ثقةً مُطلقة .. وأرجُو استجوابَهم مرة أخرى للتأكُّد ممّا إذا كانوا مُتشبّثين بالتصريحات التي أدلوا بها أمام " الضابطة القضائية " .. وشكرًا »..

وتقدم مُحام ثالث : « بناءًا على خبْرتي الروبوتية، فإنني أشكُّ في الاتهامات التي وجّهها المشاغبون بدون أيّ دليل ملموس .. وأطالبُ بالإفراج عن مُوكّلتنا العالمة .. وشكرًا »..

وأعلَنَ القاضي : « رُفعت الجلسة للبحث في الطلب » ..

وبعد لحظات، عاد القاضي وهو يبتسم : « قرّرت "دار الحقّ مُتابعة العالمة " هيفاء " في حالة سراح .. ونواصلُ الجلسة »..

ونودي على الشاهد الأول .. فأدلى بالقسَم القانُوني، وصرّح : « أعرفُ هذه المرأة معرفة تامّة.. فإليها التجأتُ ذات يوم، وأنا في حالة اضطراب معنوي .. ولكنها بدل أن تعالجني، زادتْ في اضطرابي، فأصبحتُ لا أفرّقُ بين الصحيح والخطأ » ..

ثم نودي على الشاهد الثاني : « نعم، سيدي القاضي، هذه العالمة لم تجعلني أُنظّمْ عقلي، بل أفسدتْ أيّ تنظيم فيه، وحوّلتْني إلى مُختلّ ! »..

وأتى الثالثُ والرابعُ والعاشر، ثم بدأت المرافعات ..

استهلَّ المرافعات نقيبُ المحامين الروبوت : « سيدي القاضي، أنا أتبنَّى تصريحاتِ الشهود، وأطالبُ بإنزال أقصى العقوبات على مُوكّلتي، وشكراً ! » ..

اهتزّت القاعة ..

وتعاقبَ المحامون الروبوت، واحدًا بعد الآخر، وكلُّهم يطالبُون بأقصى عقوبة لموكّلتهم ..

ورُفعت الجلسة للمداولة ..

لم تستغرق المداولة إلا بضع دقائق ..

وعاد القاضي : « بعد المداولة، وبحث الملفّ بتفصيل، واستعراض كل الشهادات، وبناءا على ما راج في الجلسة، فإن " دار الحقّ " قضتْ حضُوريًا ببراءة العالمة " هيفاء "، وتعويضها عن خسارتها المزاجية بوضع كلّ الروبوت الحاضرين في هذه القاعة، باعتبارهم معتُوهين، بمن فيهم المحامون الروبوت والصحافيون الروبوت، ومن في الجمهور روبوت، تحت مسؤوليتها المباشرة في " بيت الضائعين " .. رُفعت الجلسة ! »..

□ كانت " عبلة " و" سليمان " على رأس مُهنّئي العالمة " هيفاء " ..

وقالت " عبلة " قد رفع " : « سليمان " شكاية ضدّ " باخرة الطيور " على ما تعرّضَ له من اختطاف وتعذيب .. فهل تتقدمين أنتِ أيضا بهذه الشكاية ؟ » ..

أجابت " هيفاء " : « سأفعل .. ولكن ليس ضدّ " باخرة الطيور "، بل ضدّ " الوسواس " .. وفي هذا الاتجاه يمكنُ أن تكون شكايتُنا

مُشتركة .. بيد أن هناك ألغازًا ما زلتُ حائرة في تفسيرها .. ألغازٌ تخصُّ " الوسواس "، وأخرى تتعلقُ بمعتُوهي " بيت الضائعين " .. وفي الحالتيْن معًا قاسمٌ مُشترك، وهو كونُ الفاعلين من الروبوت، بينما المخطّطُون قد يكونون من البشر .. وهذا يعني أن الروبوت، طيُورًا أو نزلاء في " بيت الضائعين "، تعرّضوا لعمليات تسلُّل إلى برمجياتهم، بحيث تم التحكمْ فيها، وبالتالي التحكم في سلوكاتهم .. فهل المتوغّلون إلى أدمغة هؤلاء وأولئك ينتمون لجهة واحدة، أم جهات متعددة ؟ مهما يكُن، فعلينا أن نعرف الحقيقة، بدءًا من استطلاع هوية اليد أو الأيادي الخفية.. وقد تكونُ هذه بشرية .. وأعتقدُ أن " دار الحقّ " قد فعلت خيرًا حيث قررت تجميع كل الروبوت الذين كانوا في قاعة الجلسة، بمن فيهم المحامون والصحافيون والجمهور المتتبّع في " بيت الضائعين "، بهدف تحليل سلوكاتهم ومحاولة تصحيحها، وبالتالي معرفة مصدر هذا الانحراف الذي لم يقتصر على الروبوت المشاغبين، بل طال أيضا الروبوت المحامين الذين تقدّموا إلى " دار الحقّ " للدفاع عنّي، فإذا بهم يُطالبون بإنزال أقصى العقوبة في حقي .. شيءٌ ما غيرُ طبيعي في أدمغة هؤلاء .. وعن هذا اللاّطبيعي يجبُ أن نبحث .. والبحثُ لن يكون هيّنًا .. وعلينا أن نبدأ فورًا بالعمل.. والعملُ اليوم لن يبدأ من " بيت الضائعين "، بل في " باخرة الطيور " .. فهيّا بنا إلى البحر ! »..

ركبُوا " الزّورق الطائر "، واتّجهُوا صوب " باخرة الطيور ".. كان الطيرُ " جُوبَا " في استقبالهم ..
فقد أصبح من أسياد البحر، في زمن لم يعُد فيه غريبًا أن تُسندَ

مهماتُ التّسيير والتّدبير لروبوت في هيأة طيور أو بغال أو حمير .. المهمُّ هنا ليس الشكل، بل العمقُ في هؤلاء الروبوت، باعتبارهم آلات مُبرمجة لتقمّص شخصية هذا الكائن أو ذاك، والاضطلاع بمهام المسؤولية على رأس باخرة أو طائرة أو صاروخ أو حتى هيأة الحكومة ..

– في هذا الزمن، تجدُ بعضَ الحكومات يرأسُها روبوت ..

أدخلهم الطيرُ " جُوبَا " إلى صالة الضيافة في الباخرة، وجدّد اعتذارهُ للعالمة " هيفاء " ورفيقها "سليمان " على اختطافهما من " عرس الشمس " .. وقال إنّ من حقّهما أن يرفعا شكاية إلى " دار الحقّ " لطلب تعويضات من شركة " باخرة الطيور " ..

وسألتهُ " عبلة " : « أين ذلك " الوسواس " ؟ »..

وقبل أن تُكمل السؤال، دخل من الباب ..

" الوسواس " لم يُمتْ !

قال : « لكُم أن تتصوّرُوا أنّ " الوسواس " لا يموت ! وأن تتصوّرُوا أنّهُ ليس من لحم ودم .. وأنهُ من ضياء .. يتقمّصُ أية شخصية، ويتوغّلُ إلى أي دماغ، ويخترقُ أيَّ بيت، ويتحكمُ في الطيور.. تصوّرُوا هذا! أليس كذلك يا " جُوبَا " ؟ »..

ارتبكَ " جُوبَا " ..

واشتَدَّ ارْتباكُه ..

وبدأ يرتعش ..

ثم رفعَ رأسَه : « ما الأمرُ يا زعيم البحر ؟ »..

ضحك " الوسواس " : « لا أمْر .. تصرّفْ كما كُنتَ تتصرّف .. احسنْ ضيافةَ "عبلة " و" سليمان " .. واعتَنِ أكثر بالدكتورة " هيفاء " ..

عالمتنا في " المزاجية الشّمسية ".. وإلى لقاءات أخرى !»..
واختفى " الوسواس "..
وعاد " جُوبَا " إلى طبيعته .. يتكلمُ بأدب مع ضيُوفه..
والجميعُ ينظرون إليه بحيرةٍ واستغراب ..

❐ ذهبَت " هيفاء " إلى " دار الحقّ " ..
وهناك صرّحتْ للقاضي : « ما سأكشفُ عنهُ ليس كلامًا رسميا .. إنه مجردُ تخمين .. استنتاج .. إنّني خائفة ! »..
- خائفة ؟ لماذا ؟
قالت : « كلُّ الروبوت عندنا أصبحُوا تحت سيطرة كائن قد يكونُ من الأشباح .. هو " الوسواس " يقتحمُ الأسوار، ولا يُوقفُه حاجز، ويتحكّمُ في أدمغة كل الروبوت على هذه الأرض .. هو من أخرجَ معتُوهي " بيت الضائعين " إلى شوارع الشّغَب .. وهو من وجّهَ الطيرَ "جُوبَا " الذي أقدَمَ على اختطافي أنا و" سليمان " من شارع " عرس الشمس " .. وقد يكونُ هو من أحدثَ الخلل في أدمغة المحامين الروبوت داخل قاعة "دار الحقّ " .. فما العمل ؟ إن " الوسواس " حرٌّ طليق .. وهو يتحكّمُ في الروبوت ! »..
جحظتْ عينا القاضي : « يتحكم في الروبوت لا في الإنسان ؟ ! » ..
قالت : « نعم .. ويبدو أنهُ لم يصلْ بعدُ إلى الإنسان .. وعلينا فعلُ شيء لمنع هذا " الوسواس " من تدمير أدمغة الحياة »..
صمت القاضي لحظة ثم سأل : « هذا تصريحٌ خطيرٌ يا عالمتَنا .. فهل هناك دليلٌ ملموس على وجُود هذا النشاط الحيّ لهذا المسمّى

" الوسواس " ؟ » ..

أجابت : « نحنُ ثلاثةُ آدميين تعرّضْنا لقرصنته .. أنا " هيفاء " .. ومعي صديقتي " عبلة " .. وصديقي " سليمان " .. فاسألْهُما ! »..

ناداهُما القاضي، فشهدَا بما وقع ..

وصرّحتْ " عبلة " : « لا يبدو أن " الوسواس " قادرٌ على التحكم في بني آدم .. ولكنهُ تكلمَ معي واستدْرَجني، وبإقناع، إلى " باخرة الطيور " .. وهناك اكتشفتُ فيه كائنًا آخر .. مُخادعًا .. قرصانًا »..

وأفادَ " سليمان " : « لعله أكبرُ خبير في البرمجيات الروبوتية .. يقتحمُ كل الأدمغة، وبنظرة واحدة، أو كلمة واحدة، فيُحوّلُ الروبوت من طائع إلى رافض، ومن خدُوم إلى مُتمرّد »..

وسأل القاضي : « وهل هو قادرٌ على التحكم في كل أنواع وأشكال الروبوت ؟ هل هو قادرٌ مثلاً على التسلُّل إلى دماغ رئيس حكُومتنا، سيادة " الروبوت العظيم " ؟ »..

قالت العالمة " هيفاء " : « لا شكّ في ذلك .. فما دام يتوغلُ إلى أدمغة المحامين الروبوت، والصحافيين الروبوت، والجماهير الروبوت، وأيضا معتُوهي " بيت الضائعين "، فماذا يمنعُهُ من التسلل إلى دماغ سيادة " الروبوت العظيم " ؟ هو يخترقُ كلّ الحواجز الأمنية، بما فيها السّتائر المغناطيسية، وليس هناك ما يمنعُه من الوصول إلى مراكز القرار .. وإذن، يجبُ أن نفعل شيئًا، وبسرعة ! »..

قال القاضي : « إذا كان ما تقولونهُ صحيحًا، فإنّنا قد أصبحنا نحنُ الآدميين أمام وضع خطير جدًا ...»..

ولم يتواصل الحوار ..

ولم تتواصل الإفادات ..

توقّفتْ ..

فـفي هذه اللحظة دخل حـارسُ " دار الحقّ "، وهـو أيضـا من الروبوت، وقال للقاضي : « يُشرّفُني أن أقدّم لك شخصية عظيمة »..

وأشار إلى من كان داخلاً : « تفضّل يا سيدي ! »..

لم يكن هذا الداخلُ إلاّ هو : " الوسواس " !

التفتَ إليه الجميعُ مشدوهين ..

وقال " الوسواس " : « لعلّني جئتُ في وقت غير مناسب ! »..

ثم خرج من " دار الحقّ " ..

والحارسُ ينحني إجلالاً له ..

وقالت " هيفاء " : « هذا هو .. ما أن نتـكلم عنه، حتى نجده واقفًا بيننا ! »..

وتساءل القاضي : « من هو ؟ من تراهُ يكونُ " الوسواس " ؟ »..

وبقى التّساؤُلُ بلا جواب ..

" الوسواس " لُغزٌ مُحَيِر ..

و" هيـفاء " تقـولُ للقاضي : « أنا سـأعرفُ اللُّغـز .. لا بُد لي من استطلاع هذا " الوسواس " !»..

□ في المساء، أوقفت التلفـزاتُ برامجها، وانتقـلتْ بمشاهديها إلى مـقـرّ رئـيس الحكومـة، سـيـادة " الروبوت العظيم " الـذي شـوهدَ وهو يستـقبلُ " الوسـواس " استقـبالاً رسـميا، ويُعـيّنُهُ في منصب " مسـتشـمر الشمس " ..

وقال أحدُ المعلقين البارزين : « قدِّم سيادةُ " الوسواس " إلى رئيس الحكومة، سيادة " الروبوت العظيم " ، مشروعًا شمسيًا في غاية الأهمية، وهو تنظيمُ رحلة لنخبة من عُقلاء بني آدم إلى الشمس .. وقد وردَتْ في المشروع شروحاتٌ مُقنعة منها تمكينُ هؤلاء الآدميين من الاقتراب ما أمكن من الشمس، حتى يعرفُوا أكثر ماهيتَها .. إنّ علينا أن نستثمر الشمس كل استثمار مُمكن، إذا أردنا فعلاً أن نُطوّر منظومتنا الحياتية » ..

وصدر قرارٌ من سيادة " الروبوت العظيم " يُخوّلُ " الوسواس " كلّ الصلاحيات الاستثمارية، وصلاحية اختيار الآدميين الذين يُمكنُ أن يُشاركوا في رحلة الشمس ..

ها نحنُ أمام تطوُّر جديد ..

" الوسواس " يختارُ المشاركين والمشاركات ..

وبعدئذ تُنشَرُ القائمةُ الآدمية ..

وفي القائمة علماءُ وشُعراء وكُتاب وفنانون وأساتذة ومُهندسون وأطباء وصحافيون وكلُّ من له صلة بالإبداع .. أيِّ نوع من الإبداع ..

وفي هؤلاء أسماء معروفة، منها " هيفاء "، و" سليمان "، و" عبلة "، والقاضي ..

التقى الأربعةُ في مكان لا وجود فيه لأيّ روبوت، ولا لأي جهاز، ولا حتى للهاتف ..

وبدأوا يُحلّلُون الوضع ..

ذكر القاضي أن الأمور واضحة : « أصبح " الرئيس العظيم " تحت توجيه " الوسواس " ! »..

وقالت " عبلة " : « كلُّ الروبوت تحت سيطرته .. وهذا يعني إرجاع الإنسان إلى العصر الحجري .. فإذا شئنا أن نكون أحرارًا في تصرُّفاتنا، وأحرارًا في تخطيط مُستقبلنا، فيجبُ أن نتخلص من الهاتف والسيارة وأجهزة التسخين، وآلات الطبخ، وكل الآلات الروبوتية بما فيها الحواسب والساعات اليدوية وغيرها .. يجب أن نتخلص من هذا وغيرِ هذا » ..

وقال " سليمان " : « علينا أن نتخلّص حتى من ألبستنا، لأن هذه أيضا فيها أجهزةٌ إليكترونية دقيقة، أي روبوت مؤهلون لتسريب أسرارنا إلى " الوسواس " وعُملائه الذين سينتشرون انتشارًا واسعا ما داموا قد نجحُوا في إيصال " الوسواس " إلى منصب " مستثمر الشمس " »..

وتدخل القاضي : « الخوفُ كلُّ الخوف أن تكون " رحلة الشمس " مُجرد مؤامرة للتّخلُّص من عقلاء الأرض » ..

قالت العالمة " هيفاء " : « إذا قبلْنا الرحلة الآدمية إلى الشمس، سنكون قد قبلنا الذهاب بأنفُسنا إلى المحرقة .. أنا لا أرى في رحلة آدمية إلى فُرن نووي أية فائدة للأرض، ولو كانت تحت غطاء استثماري .. إنّنا لحد الآن لم نُرسل أي إنسان إلى أيّ مدار قريب من الشمس، فأحرى أن نُرسله إلى الشمس نفسها .. هذه مؤامرةٌ للتخلُّص منّا .. مُؤامرةٌ من " الوسواس " الذي تمكّنَ من الاستحواذ على دماغ " الرئيس العظيم " .. فعلينا باتّخاذ موقف بشري مُوحّد، وهو مقاطعةُ " رحلة الشمس " »..

وتدخلت " عبلة " : « هذه الرحلة لم يُدْعَ إليها إلا البشر .. وهذا يعني أن الهدف هو إحراقُ البشر، وبتعبير آخر : إخلاءُ الجوّ الأرضي لعُملاء " الوسواس " .. يجبُ أن نتحرّك حالاً، فنشُنّ حملة توعية في

صفوف جميع الناس .. فنحنُ قد أصبحنا الآن في حرب روبوتية ضدّ الكائن البشري .. ولا مجال لأيّ تأجيل ! » ..

قالت العالمة " هيفاء " : « بموازاة مع توعية الناس، علينا أن نبحث عن " الروبوت الأحرار " ، فلا شك أن في الروبوت من لم يستطع " الوسواس " أن يصل إلى أدمغتهم .. هؤلاء يجب أن نبحث عنهم، ونعمل على استقطابهم إلى جانبنا لمحاولة إعادة السيطرة على الجماهير الروبوتية .. علينا أن نقطع طريق " الوسواس " إلى " المجتمع الروبوتي " »..

وما زال الأربعةُ يتحاورُون، حتى فوجئوا بوجود " الوسواس " أمامهم ..

لقد وصل " الوسواس " شخصيًا إليهم ..

ضحك ضحكة عالية، ثم ابتعدَ عنهُم ..

واختفى !

□ أُصيبت الجماعةُ بالفَزَع ..

فكيف تمكّنَ " الوسواس " من الوصول إليهم ؟

قال " سليمان " : « نحنُ تحت المراقبة مُهدّدُون في حياتنا .. لا شكّ في هذا »..

وقالت العالمة " هيفاء " بلهجة صارمة : « انزعُوا ألبستكم ... فقد تحولت إلى أدوات للتجسس علي لابسيها ... لا خيار لنا إلا العودة إلى العصر الحجري .. اسكتُوا .. لا تتكلّمُوا .. فلا كلام ولا حتى أية إشارة، إلي أن ننزع كلّ ألبستنا، ونذهب بعيدا عن أيّ جاسوس آلي » ..

نزعُوا الألبسة ..

أصبحُوا " كما ولَدَتْهُم أمّهاتُهم " ..

وسألت العالمة " هيفاء " : « هل فيكم من أُجريت له عمليةٌ جراحيةٌ في أي مكان من جسمه ؟ »..

أجابت " عبلة " : « أنا.. لقد غيّرُوا جزءًا من قدمي اليمنى منذ عام » ..

قال القاضي : « أرجُوك يا " عبلة " أن تُقدّري الموقف .. البسي ثيابَك، وعُودي إلى منزلك .. ولا تقلقي، فنحن سنتدبّرُ الأمور .. لا تقلقي على " سليمان " .. أرجوكِ أن تنصرفي ! »..

انصرفَتْ " عبلة "..

وقفَ " الوسواس " في طريقها وهي عائدةٌ إلى المنزل ..

خاطبَها بلهجة مُستفزّة : « أنت لا تُحْسنين السّمع .. فاسمعيني هذه المرة، لا كما في العادة تسمعين، بَل كما يجبُ أن تسمعي .. لمَ لا تنضمّين إلينا ؟ »..

سألتْ : « من أنتم ؟ »..

أجاب : « نحنُ هُم أنا .. " مستثمر الشمس " .. أنا من يُريدُ مصلحتَكم .. فكّري جيّدًا .. وسأزُورك في وقت لاحق ! »..

ثم اختفَى " الوسواس "..

وعادت " عبلة " إلى منزلها في حالة توتُّر ..

بينما الثلاثةُ يبحثون عن مكان ..

وهذا مكانٌ خال ..

لا وجود فيه إلا لَلأعشاب ..

جلسُوا عُراةً على الأرض ..

تكلَّمَت العالمة " هيفاء " : « نحنُ هُنا من أجل رسالة بشرية .. ويجبُ ألا ننظُر إلى بعضنا نظرةً جسَدية .. نحنُ بشرٌ جئنا لإنقاذ البشر .. فلا تنظُر إليّ هكذا أيها القاضي ! »..

انحنَى القاضي برأسه، وواصلت العالمة " هيفاء " : « يجبُ أن نضع حواجز لمنع " الوسواس " ومن معهُ من الوصول إلى أدمغتنا .. فإذا وصلُوا إلى أدمغتنا، فإنهم سيكونون قد تجاوزُوا الاستيلاء على مظاهر الحضارة، وأصبحوا مُحتلّين لعُمق الكائن البشري .. وعلينا بخُطّة لوضع الحاجز الأول، وهو استقطابُ الأحرار من الروبوت .. ففي عالم الروبوت يوجدُ من لم يتمكن " الوسواس " من السيطرة على أدمغتهم .. هذا هو الحاجزُ الأول .. وعلينا بالتّنفيذ .. وسأقومُ أنا بإعداد هذا الحاجز، على أن يعملَ كلُّ واحد منّا في اتجاه آخر .. فما قولُكما ؟ »..

قال القاضي : « أنا أتّصلُ بالآدميين المرمُوقين في أوساط القانونيين الروبوت » ..

وقال " سليمان " : « أنا أتّصلُ بالفعاليات المجتمعية البشرية »..

وقبل أن يفترقُوا، اتّفقُوا على توعية الجميع بضرورة قطع الطاقة عن كل الروبوت وكل الأجهزة المنزلية، وعدم الركوب في السيارات والطائرات والغواصات وغيرها ..

وقالت العالمة " هيفاء " : « يجبُ عدم مُكاشفة أيّ آدمي أُقيمت له عملية جراحية، سواءٌ في الرأس أو القلب أو أي عُضو من أعضائه الجسمية .. كما يجبُ توعيةُ كل البشر بنزع ملابسهم، لأن هذه الملابس فيها أجهزة دقيقة تُعتبر في حدّ ذاتها أبواقًا يمكن أن يتجسس من خلالها عُملاء " الوسواس " .. وعلينا أن نُقنع مُجتمعنا البشري بالهجرة

من الحاضر الآلي إلى العصر الحجري.. بهذه الطريقة فقط سنقضي على المطامح التّوسُّعية لهذا المسمّى " الوسواس " .. إنّنا إذا لم نتمكن من تطويقه، فإنهُ سيزرعُ عقليتَه التدميرية في كل مُجتمعنا ! »..

وقال " سليمان " : « يجبُ تكسيرُ هواتفنا .. وعلينا أن نتّصل ببعضنا عن طريق المشافهة .. وأن نُخبر بعضَنا البعض بالاتصال المباشر، لا عبرَ أية وساطة » ..

وافترقُوا ..

❐ وفي العودة، وقف " الوسواس " في طريق القاضي ..

ضحك ضحكة استهزاء : « أنا في انتظارك .. انتظرتُك هُنا لكي أُعْلمك ألاّ خيار لكم سوى الانضمام إلينا، إذا شئتُم العيش في بيئة مُتطوّرة .. أما إذا سَعيتُم للانزلاق إلى العصر الحجري، ولأن تكونوا عُراةً حُفاة، فلكم ذلك .. وستبقى الحضارةُ لمن يستحقُّها ! »..

ثم انصرَفَ " الوسواس " ..

واختْفَى ..

وفكّر القاضي طويلاً في كلمة " الوسواس " : « إنّ فيها جانبًا من الصواب .. فيجبُ أن نُحاول الخروج من الخندق الروبوتي، بدون أن نُدمّر مكاسبَنا الحضارية » ..

شغلتهُ هذه الفكرة ..

وأثارَها مع صديق مُختصّ في " القانون الروبوتي " ، فقال له هذا الأخير : « يجبُ العملُ لا خارجَ الميدان الروبوتي، بل داخله .. يجبُ تغييرُ الأمور من الداخل لا من الخارج .. يجبُ محاربةُ " الوسواس " داخل

مجال نشاطه، لا خارجه، ومهما كلّف الأمرُ من مجهود ومعاناة » ..

قال القاضي : « الحقُّ في النهاية ينتصر .. والحقُّ هو الحياة .. والحياة لا يُمثّلُها " الوسواس " أو من معه، بل تتجسّدُ في الإنسان، ولا حياةَ في سُمُوّها، إلا مع الإنسان ! »..

ونفسُ القناعة اختمرت في ذهن " سليمان "، من خلال اتصالاته بفعاليات المجتمع البشري ..

وقال له زعيمُ " حزب الحقوق " : « يجبُ شنُّ حملة سياسية واسعة النطاق، وحملة دينية لمنع هؤلاء الروبوت الضّالين من تضييع حقوق الإنسان » ..

واختمرت الفكرةُ لدى العالمة " هيفاء "، فأجْرَت اتصالات مُكثّفة مع كثير من " الروبوت الأحرار "، فقال لها كبيرٌ منهم : « ما أقبل عليه " الوسواس " لا يُعتبر مساسًا بالكائن البشري وحده، بل هو تهديدٌ لوجود الكائن الروبوتي .. إنّنا لا نقبلُ سلوكات " الوسواس " الذي أصبح يُفرقُ بين الإنسان وأخيه الروبوت .. الصراعاتُ ليست في مصلحة أحد، بل هي لا تخدُم إلا المصالح الشخصية لهذا " الوسواس " .. هو يسعى لأنْ يكون قائد البلاد، من خلال استقطاب مجموعة من معتوهي الروبوت، ومُرتزقة الروبوت، وبعض المُغَرَّرِ بهم في أوساط بني آدم، ومن جهتنا لن نَقبلَ أبدًا أن يستغلّنا لهذا الهدف الأناني .. وإنّنا نُناشدُ إخوتَنا الروبوت لقطع " الضوء الدماغي الخافت " الذي منه يتسللُ " الوسواس "، ويطّلعُ على أسرارنا ونوايانا وأهدافنا، فيستغلُّها أبشع استغلال »..

وإذن، فالسرُّ يكمنُ في " الضوء الدماغي الخافت " .. فما هو

هذا الضوء ؟

سألتهُ العالمة " هيفاء " فأجاب : « هو ضياءُ الذاكرة .. وهذا الضياء هو مَصْدرُ ما أوْصلَنا إليه " الوسواس " .. يجبُ التّصدّي لهذا الضياء بالذات لمنعه من بثّ أية إشارة معلومياتية إلى أيّ مُتجسّس »..

- وكيف يمكن انتزاعُ مصدر الضياء ؟

أخرجَ ميكروفونَهُ وبثّ خطابًا إلى كلّ الروبوت : « هذا ندائي إليكم جميعًا .. ألتمسُ منكم واحدًا واحدًا أنْ تنزعُوا الضوءَ الخافت من أدمغتكم .. وأطلبُ منكم أن تبثُّوا هذا النداء إلى كل أصدقائكم ومعارفكم من الروبوت .. اطْفئُوا الضوءَ الخافت ! »..

واتصلت العالمة " هيفاء " بالطّير " جُوبَا " في " باخرة الطيور "..

سألتهُ إن كان قد نزع ضوءَهُ الخافت، فقال : « ما زال موجودًا .. ولا أستطيعُ أن أنزعه، لأن " الوسواس " قد أمرَني بتثبيته .. فما العمل ؟ »..

أجابت العالمة " هيفاء " : « هل عندك قطعةُ غيار ؟ »..

- نعم ..

وإذن، قُم باستبدالها، فورًا !

وبعد لحظات أخبَرَها أنه استَبْدَلها بأخرى ..

فأمرتهُ " هيفاء " أن ينزع منها " الضوء الدماغي الخافت "، لكنه لم يستطع .. فقد تدخّلَ " الوسواس " من جديد بلُغة آمرة : « ثبّت " الضوء الدماغي الخافت " .. وإياك أن تقبلَ أيَّ أمرٍ آخرَ بإزالته ! »..

وعاد الطير " جُوبَا " إلى حاله السابق ..

ثم عاودت " هيفاء " الاتصال به : « تعالَ عندي .. أنا في

" شارع الغفران " ! »..
انتظرتْه طويلاً، لكنه لم يصل ..
أدركتْ أنّ " جُوبَا " قد فُقد فيه الأمل ..

□ واتّصلتْ بمجموعة من البشر المعْوزين ..
كوّنتْ منهم جيشًا من " المجاهدين "، فخطبَ فيهم خطيبٌ مُحنّك : « أيُّها الناس .. نحنُ أمام خطرٍ داهم .. " الوسواس " يُحرّضُ علينا الروبوت .. والروبوت كما تعلمون، كائنات مصنوعة من معادن، لا تعرفُ إلا لغة الحديد .. وقد تمكّن " الوسواس " من أن يصنع منها جيشًا من الضّالين المُضلين .. فعلينا بالكفاح المسلح .. " الجهادُ " هو الحل .. ونلتمسُ من كل إخواننا " المجاهدين "، وأخواتنا " المجاهدات "، أن يُهاجموا كل روبوت تصدُرُ في حقّه فتوى التّصفية .. وإن علينا ألا نخلط الحابل بالنابل، ففي الروبوت من هُم في خدمة الحياة، وهؤلاء يجبُ أن نُحافظ عليهم ونحميهم لأنهم سَنَدُنا وأعيُنُنا وآذانُنا الممتدّة إلى الفضاءات الشاسعة .. أعداؤُنا ليس هؤلاء، بل هم أتباعُ " الوسواس "..
وسيكونُ على رأس كل مجموعة فيكم مُتفَقّهٌ إليكتروني قادرٌ على تحديد أهدافكم .. إنكم " مُجاهدون " من أجل حياة الحياة، وعزّة وكرامة الإنسان .. واللهُ يُعينُكم ويرعاكم ويُثبّت أقدامَكم ! »..
تكوّن إذن جيشُ " المجاهدين "..
واتّسعتْ رقعةُ الخلايا الجهادية التي تُديرُ العالمة "هيفاء" إحداها، بينما أخرى تُسيّرُها " عبلة "، وأخرى " سليمان "، وأخرى " القاضي "..
وبدأتْ تُسمعُ كلّ يوم عملياتٌ ضدّ أتباع " الوسواس "..

كلُّ العمليات مُتشابهة .. فكلٌّ منها يتصيّدُ رأسَ روبوت ..

فترى المرء ماشيًا في الشارع، طبيعيًا، وفجأةً يُخرجُ مطرقةً من جيْبه ويهوي بها على رأس روبوت !

بهذا يقطعون " الضوء الدماغي الخافت " لكُلّ روبوت، فينقطع بذلك أيُّ تواصل بين هذا الروبوت وأتباع " الوسواس "..

واندلعت الحربُ المفتوحةُ بين الروبوت والإنسان ..

وصار لزامًا على فريق " هيفاء "، العالمة في " المزاجية الشّمسية "، أن يحمي كلَّ الروبوت المنحازين للإنسان ..

وانتشرت في أوساط بني آدم رسائلُ تدعُو إلى حماية " الروبوت الأحرار " ..

ومُنع هؤلاء من الخروج إلى الشوارع حيث الصّدَامات ..

وأعلن رئيسُ الحكومة، سيادة " الروبوت العظيم "، حالة الطوارئ .. وجاء في خطابه : « البلادُ في حالة فوضى .. أتباعُ " الوسواس " وأتباعُ " هيفاء " قد جرّونا إلى تقاتُل لا معنى له .. وأُناشدُ الطرفيْن أن يجلسا إلى مائدة المفاوضات، حقنًا للشرايين المعدنية والشرايين الآدمية .. والأدهى في هذه " الحرب الأهلية " اللاّمُبرّرة هو أن البلاد قد فقدتْ حتى الآنَ كثيرًا من الأطُر الروبوتية المهمّة، وكثيرا من الروبوت المستخدَمين .. كما فقدت بعضَ البشر الذين تُعتبر البلادُ أحوجَ ما تكونُ إلى مُساهماتهم الحضارية، وإلى ضمان استمرارية النّسل البشري .. أرجُوك يا " هيفاء "، وأرجوكَ أيها " الوسواس "، أن تخرُجا إلى الأضواء ... » ..

عندئذ انقطع خطابُ " الرئيس العظيم "..

وشوهد " الوسواس " وهو يأخذُ مكانه في التلفزة، ويُلقي خطابًا

على الناس : « " الوسواس " يخاطبُكم .. اعلمُوا أنّني قد استوليتُ على السلطة، وأنَّ الحُكم قد أصبح في قبضةِ نوعٍ واحد من الروبوت .. والأمرُ يتعلقُ بمن يساندون المشروع الاستثماري الذي سبق أن أعلنتُه تحت اسم " رحلة الشمس " .. إنّني أتشبّثُ بهذا المشروع .. وكلُّ من يرفضُ إرسالَ نُخبة من عُلمائنا الآدميين إلى الشمس، سيتعرّضُ للعقاب .. وأخبرُكم أنّني قدّ شكلتُ لجنة لقيادة " ثورة روبوتية " هدفُها توحيدُ صفوف الروبوت، وتوعية بني آدم بأن السيادة اليوم للآلات المعدنية .. وأُوجّهُ تحذيرًا إلى العالمة " هيفاء " ، المختصّة في " المزاجية الشّمسية " .. عليها أن ترضخ هي وأتباعُها للأمر الواقع .. إنني لا أقبلُ إرجاع البلاد إلى العصر الحجري .. الروبوت هم صانعو الحضارة الحديثة .. فهم يحفرُون الخنادق، ويبنون الطرُق والجسور والعمارات، ويُفكّرون ويُخطّطون ويُراقبُون ويُعالجُون .. ولا تستطيعُ عقليةُ " هيفاء " ومن معها أن تُقاوم هذا المدَّ الحضاري الروبوتي .. إنها إذا فعلت، تُدمّر المكتسبات الحضارية، وتجرّ البلاد إلى خلف، بينما عليها أن تساعدنا لطفرة أخرى إلى المستقبل .. هذا تحذيرُنا .. وعاشت دولةُ " الوسواس " ! »..

أصبح " الوسواس " سيّد البلاد ..

وتراجعَ الكثيرُ من الروبوت عن مُساندة العالمة " هيفاء " ..

وتراجع الكثيرُ من الآدميين الذين انتابهم الخوفُ من انتقام " الوسواس " ..

ودخلت " هيفاء " في المقاومة السّرّية ..

يُساندُها رجالٌ ونساءٌ لا يرتدُون الألبسة الإلكترونية، بل فقط أقمصةً وسراويل طبيعية، ويمشون على الأقدام، وليست لهم هواتف، ولا

يدخلون إلى المستشفيات حتى ولو أُصيبُوا في معركة..

وانضمّ إلى المقاومة أطبّاء يعالجُون " المقاومين " بالطريقة التقليدية..

وتكاثرَت عملياتُ شلّ أنشطة الروبوت ..

بالمطرقة السّرية، يُكسّرُ " المقاومون " أدمغةَ الروبوت المعادين للإنسانية ..

ووُزّعتْ مناشيرُ تُحذّرُ من تكنولوجيا لا تخدمُ إلا مصالح " الوسواس "..

وممّا وردَ في إحدى هذه المناشير : « لقد تمكّنَ اللصوصُ من الاستيلاء على العِلْم، فأصبح العلمُ أداةً في قبضة المافيُوزيين، وطاحُونةً للإبادة والتدمير .. أصبح العلمُ في خدمة قلّة من أصحاب المال والنفوذ والهيمنة .. وعلينا أن نعمل لإنقاذ العلم، وإرجاعه إلى هدفه الحقيقي وهو خدمةُ الإنسانية » ..

وطالت المقاومة ..

والعالمة " هيفاء " ومعها "عبلة " و" القاضي "، يُواصلُون اتصالاتهم السّرّية بهدف إسقاط " الوسواس " وإعادة الشرعية إلى بني آدم ..

□ أحاط " الوسواس " نفْسَهُ بمجموعة من المستشارين ..

كلُّهم يُفكّرون بطريقته ..

ولا ينصحونه إلا بما يُريد ..

لا يقولون له إلا ما يُريد ..

ولا يُخالفُونه ..

وفي خطاباته يُكثرُ الحديث عن نفسه .. وقد وردَ في تصريح

منسُوب إليه : « أنا " الوسواس " .. الضوءُ ابنُ الضوء .. جئتُ من السماء .. ولا أحد في الأرض يقفُ في طريقي .. لا المسافاتُ تتعبني ولا الأزمان .. أتنقلُ بين الأزمنة والأمكنة كما أتنقلُ من غُرفة إلى غرفة في منزلي .. وعندما نزلتُ إلى الأرض، حسبتُ أنني سأشتاقُ إلى السّماء .. لكنني تشبّثتُ بالأرض، ولا أفكّرُ في الصعود إلى السماء .. لقد أصبحتُ أستلذُّ أوحال الأرض .. وأستعذبُ تعذيب الإنسان .. يصفُني بعضُ الناس بالأناني .. والمريض .. والسّادي .. وأنا بذلك مُرتاح .. مُرتاحٌ حتى لهذه الأوصاف .. هي لا تُزعجُني .. إنها حقيقة .. وحقيقةٌ أيضا أن أبقي الإنسانَ تحت قدميّ ! »..

هذا كلامٌ منسُوبٌ إلى " الوسواس "..

" الوسواس " قد أصبح حديث الخاص والعامّ ..

هذا يصفُه بالشيطان، آخر يقول إنه الجنُّ الشرير، ثالث يعتبره مُجردَ شبح عابر ..

- تعددت الأوصافُ و" الوسواس " واحد !

وذات صباح اختفى " الوسواس " ..

اختفى ولا أحد يعرفُ عنهُ شيئًا ..

حتى أقربُ مُقرّبيه يجهلُون أين ذهب ..

وعقدوا جلسة طارئة لاختيار مَن منهُم سيجلسُ على مقعده ..

اختلفُوا ..

كلُّ واحد يعتبرُ نفسَهُ أهلاً لكُرسيّ " السيّد الغائب "..

وكان الاختلافُ قوّةً للمقاومة التي نشطت أكثر، وأصبحت قادرة على الوصول إلى أيّ رأس ..

وفيهم من رفع صوتَه : « يا معشر المقرّبين، لا تنسوا أنّ " الوسواس " لا يُموت .. هو عائدٌ لا محالة .. هو لن يرحل عنّا إلا إذا استهْوتهُ السماء .. أمّا والأرضُ رهانُه الأكبر، فأكيدًا سوف يعُود .. وسوف يُحاسبُكم ! »..

واحتدّ الجدلُ بينهم ..

وزحفَ الاختلافُ إلى الشارع ..

❐ عقدت العالمة "هيفاء" مع "عبلة" و "سليمان" و "القاضي" وآخرين، مجلسًا في " بيت الضائعين " ، وقدّمتْ لهم " الخادم "..

ولـمَرّاهُ قـفزتْ " عبلة " من مكانهـا : « إنهُ هو .. " الخادم " الذي كنتُ قدْ بعثتُه للبحث عن " سليمان " فاختفَى .. أين كُنتَ يا روبوتي العزيز ؟ »..

واقترب منهُ " سليمان " : « أين كنتَ أيها " الخادم " ؟ تركتَ خلفكَ فراغًا كبيرًا .. ولا تواخذنا، فنحنُ البشرُ نتكلم بالعواطف .. قلوبُنا ليست من معادن .. إن فيها مشاعر .. ومشاعرُنا كانت معك .. فأين كنتَ ؟ »..

وقالت العالمة " هيفاء " : « إنّ " الخادم " قد قدّم لنا خدمةً تاريخية.. ولكي تعرفُوا نوعَ الخدمة، ألتمسُ منه بكل احترام وتقدير أن يُزيح الستار » ..

تقدّم " الخادم "، وأزاحَ الستار، فظهر " الوسواس " في قفص ..

اهتزّت القاعة ..

" الوسواس " في المعتقل ؟

أليس هو من ضياء ؟ أيعجزُ عن التسلُّل من القفص ؟

تكلّم " الخادم " : « أنا اكتشفتُ سرَّه .. إنهُ ليس لا من ضياء ولا من هواء .. وليس من الأشباح، بل هو آدميٌّ مثل كلّ بني آدم .. والسرُّ كلُّ السّرّ يكمنُ في اكتشافه كيف تُستَطْلعُ الأفكار، ومن أين تُشلُّ العقُول » ..

فتح " الخادم " أقفالَ القفص، فخرج " الوسواس "، وبقي واقفًا..

هو يعرفُ أنهُ ليس من الكائنات الخفيّة ..

يقبَلُ قَدَرَهُ فيستسلم ..

وعندئذ بدأ التّحقيقُ مع " الوسواس "..

□ - من أنت ؟

أجاب " الوسواس " : « إنسانٌ مثلكم .. وما كنتُ يوما من الأشباح .. أنا كائنٌ بشري لي حدودٌ في الزمان والمكان، ولي مثلكم طمُوحات .. وقد أطلقتُ على نفسي اسم " الوسواس " عندما اكتشفتُ سرّيْن من أهمّ أسرار هذا العصر .. ولن أبوح لكم بهما، إلا بشرط ! فتداولُوا فيما بينكم، وعندما تَقْبلونهُ، أشرحُ لكم كلَّ شيء، وأنا على استعداد لأن أتحوّل إلى إنسان عاد مثل الناس العاديين، فأتعاوَنَ معكم لإقرار حضارة الإنسان، وأخضعَ مثلَكم لقوانين الطموح الإنساني » ..

خيّم الصمتُ على الجميع ..

ونظرت إليه " هيفاء " : « وما شرطُك ؟ »..

قال : « أنْ تُفرجوا عنّي بدون قيْد أو شرط، وأن تتركوني أعيشُ حياة طبيعية في حُرية تامة، بعيدا عن أية ضغوطات أو مُساومات أو مُلاحقات .. وسأكون على استعداد لإقناع أتباعي بالعودة إلى وحدة

الصفّ .. وفي هذا الشرط أيضا شقٌّ أطالبُ من خلاله بتمكيني من مُختبر مُجهّز بكل الآليات التي سأطلبُها، وذلك من أجل تطوير ما أراه ضروريًا للتّطوير، وتكوين من أراهم مُؤهّلين للتّكوين .. هذا شرطي الذي لن أتخلّى عنهُ إلا بالموت .. وهنا تجدرُ الإشارة إلى أنني أعتبرُ نفسي قد حقّقتُ ما كنتُ أريد أن أُثْبتَه، والآن بعد أنْ أُثْبِت، إما أن أعيش كريمًا أو لا أعيش .. ولكم واسعُ النظر »..

وسَرَتْ في القاعة همْهَمات ..

وارتفعت أصواتٌ تدعو إلى التصويت ..

كان القَبُولُ بالإجماع ..

وفُكّت الأغلالُ عن " الوسواس "، فجلسَ على كرسي، وبدأ يتكلم : « أنا مثلكم تمامًا .. طموحاتي ليست طموحات روبوت، بل طموحات إنسان .. ومثلكم تمامًا أكافحُ من أجل حضارة الإنسان .. لقد اكتشفتُ طريقةً علمية لشلّ أي نشاط دماغي، في الإنسان كان أو الروبوت .. فالإنسانُ في هذا الزمن يتوفّرُ على بطاقة تعريف إليكترونية، وهذه البطاقة عبارة عن رقم مزروع في جسمه قبل أن يخرُجَ من أحشاء أمّه .. كلُّنا نحنُ أبناءُ وبناتُ هذا الجيل، زَرَعُوا فينا ونحنُ أجنّةٌ في بطون أمهاتنا رقائق إليكترونية دقيقة، في كلّ واحدة منها رقمٌ كثير الأعداد والرموز .. وبهذا الرقم يمكن لأُسْرَتنا وأجهزة الدولة أن تتتبّعَنا، وتعرف حالتنا الصحية، ووضعنا النفسي، ومكان وجودنا .. وفي هذا السياق، يجبُ ألاّ ننسى أنّنا أصلاً مُتابَعُون بعيُون وآذان وحتى أنوف الأقمار الصناعية الحائمة حول كوكبنا الأرضي .. فقديما كانت الهواتفُ النقالة تمارسُ علينا نوعًا من المراقبة والتجسّس .. واليوم أصبح الإنسان يَخرُجُ

إلى الدنيا، وفي جسمه آلةٌ تستقبل وتبثُّ المعلومات المتعلقة به، أي هو يحملُ جاسوسَهُ في بدَنه .. الجاسوسُ يبثُّ حتى عُطورهُ الخاصة التي تُعتبرُ بصمات لا توجدُ في غيره .. هذا كثيرًا ما ننساهُ ونحنُ نلتفتُ إلى الآلات العملاقة، ومنها الروبوت .. أنا اكتشفتُ طريقةً بسيطة لقطع صلة أي إنسان مع القمر الصناعي المراقب له .. وهذا هو السّرُّ الأول .. إنني أتصدّى للرقيقة الإلكترونية في جسم الإنسان، فأشلُّ نشاطها .. وأكثرَ من ذلك، وهذا هو السرُّ الثاني، أستطيعُ أن أحوّل معلوماتها إلى ذهني .. نعم، لستُ " الوسواس " الذي تعتقدون، بل العالمُ الفذّ الذي تمكّن أيضا من قطع الصلة بين الروبوت، أيّ روبوت، مع نفس القمر الصناعي المراقب .. فماذا يحدثُ عندما نتمكنُ من تحييد دور القمر الصناعي ؟ إنّنا نمنعُه من التدخل في شؤوننا .. لقد استطعتُ أن أمارس هذا التّحييد على الإنسان والروبوت، وأنا قادرٌ أيضا على توجيههما الوجهة التي أريد، من خلال زرع برنامج فوري سريع يجعلُ هذا الإنسان أو هذا الروبوت لا يعرفُ أحدًا إلا أنا .. وهذا بالضبط ما فعلتُه أثناء جلسة " دار الحقّ "، حيث أن المحامين الروبوت، المنصّبين للدفاع عن العالمة " هيفاء "، لم يُدافعوا عنها بل طالبوا " دار الحقّ " بأن تُنزل عليها أقصى العقوبات .. فقد نجحتُ في تحويل موقف المحامين بنسبة تسعين درجة، فصارُوا يُدافعون عن مُوكّلتهم بالمطالبة بمعاقبتها .. هذا بإيجاز ما توصلتُ إليه في أبحاثي، وقد نفّذتُه على أرض الواقع، وهو اكتشافٌ ناجح، يقلبُ كل المفاهيم العلمية المتداولة حتى الآن .. وأضعُ نفسي رهن إشارة المختصين للمساعدة من أجل تحرير العلوم من مواقع الخلل الذي يمكن أن يجعل

كل إنسان على الأرض، وكل روبوت، في حالة تسمحُ باختراقه من قبل أيٍّ كان .. وأنا قد أسميتُ نفسي " الوسواس "، ولم أسمّها " الشيطان " .. أنا لستُ " شيطانًا "، بل باحثٌ أثْبَتَ نجاعةَ أبحاثه على أرض الواقع .. وأنا رهن إشارة المختصين لشرح كل التفاصيل التّقنية التي تجعلُني أرى أنكم تعيشون في وهْم كبير .. فأنتم تعتقدون أنكم محميّون بغطاء حقيقي، بينما أنتم في الواقع عُراةٌ حُفاةٌ ومُعرّضون للاختراق التجسُّسي والتوجيه السلوكي في أي وقت وحين .. أتمنّى أن تستوعبُوا ما أقول، فتضعُوا رهن إشارتي مُختبرًا مُجهّزًا، بكل ما أحتاجُه في الظرف الراهن .. وأؤكد : " الظرف الراهن " ! »..

ذُهلت القاعةُ لهذا التّصريح ..

وتقدمتْ منه العالمة " هيفاء "، فسألتهُ بهدوء : « يا سادةَ " الوسواس " .. هل أنتَ فعلاً مُحقٌّ في ما تقول ؟ » ..

أجاب : « أنا اخترقتُ عقلَك وقلْبَك عدة مرات .. والآن أعرفُ مرماك .. وبإيجاز أؤكدُ لك أنّنا معًا، أنت وَأنا، نستطيعُ أن نفعل الكثير من أجل هذا البلد .. فأنا أتخلصُ أحيانًا مَن العواطف حتى لا تُؤثّر على تجاربي الميدانية، بينما أنت عبقرية ولكن أحيانًا مشلولة بالرّقة والعذوبة .. فتصوّري أية طفرة ستحْدُثُ إذا وضعْنا أنت وأنا يدًا في يد .. أنا تنقُصني الأحاسيسُ الرقيقة، وأنت تنقُصُك خشونةُ البحث الميداني .. وأنا رهن إشارتك.. وعلى استعدادَ لأن أُصوّت لكِ كي تكوني أنت في كرسي " الرئيس العظيم ".. أنا لا تهمُّني الكراسي .. ومن يعتقدُ أنّ هدفي هو الكرسي، فأنا قد تنازلتُ عنه بمحض إرادتي، وهو الآن شاغر .. ويُمكنُكم أن تُعيدوا إليه صاحبَه الأسبق، أو تنتخبوا غيْرَه .. أنا لا أريدُ إلا

مُختبرًا وتجهيزات »..

ووقف " سليمان " فسأله : « ماذا تقولُ عن " الضوء الدماغي الخافت " ؟ »..

ضحك " الوسواس " : « أنا على علم بكونكم تصدّيْتُم للروبوت من أجل إسكات " الضوء الدماغي الخافت " .. هذه فكرة من عالمتنا الفذّة، الدكتورة " هيفاء "، الخبيرة في " المزاجية الشّمسية " .. هو حلٌّ عبقري، ولكنه يتسبّبُ في خسائر فادحة.. وما أستطيعُ أن أقدّم لكم، هو حلٌّ بدون أية خسارة .. فأرجوكم، ثم أرجوكم، أن تأمُروا فورًا، وبدون أيّ تأخير، بوقف عمليات الإبادة التي يتعرّضُ لها حاليًا خُدّامُنا الروبوت في الشوارع والأحياء والمنازل والمصانع، وأن تُطلقُوا سراحَ الروبوت الذين تصفُونهم بالأحرار .. إنكم لا تحمُون " الروبوت الأحرار " كما تعتقدون، بل تحرمون البلد من خدماتهم.. إنّنا نستطيعُ الآن، أنتم وأنا مع الدكتورة " هيفاء " أن نُوقف " الحرب الأهلية " المندلعة بين أتباعي وأتباعكم .. وحتى أُثبتَ حُسن نيّتي، فإنّني أنا " الوسواس "، أبدأُ بإيقاف هذه الحرب اللاّمُبرّرَة، من جانب واحد.. فافتحُوا لي شاشة الاتصال .. سأفعلُ حالاً .. الآن يجبُ أن أتكلم إلى الجميع، وعلى رأسهم أولئك الوصوليون الذين يتعاركون من أجل مقعدي.. إن مقعدي لن يجلس عليه أحد، سوى من يختارُه الشعب .. وكلُّ الشعب له حقُّ التصويت .. كلُّ الشعب، آدميين وروبوتا .. هاتُوا الميكروفون .. فالحربُ يجبُ أن تتوقف الآن ! »..

أشعلتْ عدساتُ التلفزة، وتسلّم الميكروفون : « أنا " الوسواس "..

هذا خطابي إليكم جميعًا، معشر أتباعي .. إنّ " السيّد الغائب " قد رجع إلى البلد .. " الوسواس " يأمُرُ كل أتباعه بإيقاف الحرب فورًا .. لا تُهاجمُوا أحدًا .. عُودُوا إلى منازلكم بهدوء .. الحربُ قد انتهتْ .. وأطلبُ من المقرّبين منّى أن يتصالحُوا .. أريدُ أن أراهم مُتصالحين مُتعاونين وعلى اتفاق تامّ بأن السلام رهانُنا جميعًا .. علينا أن نبني ما دمّرتهُ الحرب، وأن نستعدّ لمصالحة وطنية.. وقريبًا جدًا، وبعد المصالحة، سنتّفقُ على موعد لإجراء انتخابات لاختيار " الرئيس العظيم " .. هذه أوامرُ " الوسواس " .. وعليكم بالتّنفيذ فورًا ! »..

ابتهجت القاعة ..

وطلبَتْ من العالمة " هيفاء " أن تُلقي هي الأخرى خطاب المصالحة ..

وقالتْ : « أنا " هيفاء "، العالمة في " المزاجية الشّمسية " .. أبشّرُ كل الناس، بمن فيهم إخوانُنا الروبوت الأحرار "، بأن " الحرب الأهلية " قد انتهتْ .. فتوقّفُوا عن مُهاجمة أيٍّ كان .. وعودُوا إلى منازلكم بهدوء .. وغدًا تُستأنفُ كلُّ الأعمال .. غدًا تُفتحُ كلُّ الإدارات وتستعيدُ كلُّ المرافق العامة، بما فيها التجارية والعلمية، نشاطاتها المعتادة .. وكلُّ من يخرقُ القانون، سيتعرّضُ لمساءلة القانون .. وأطلبُ من " الروبوت الأحرار " أن يُغادرُوا " بيت الضائعين "، وينتشرُوا في الشوارع، وخاصة في الشارع الرئيسي : " شارع الغفران "، وأن يرفعُوا رايات السلام .. وعلى التلفزيونات الوطنية أن تبُثَّ، وباستمرار، أخبار نهاية الحرب وعودة السلام » ..

صفّقت القاعةُ بحرارة ..

وقام الجميع بمصافحة " الوسواس "..

عقدت العالمة " هيفاء " والعالمْ " الوسواس " جلسةً لاختيار الخُبراء المؤهّلين لتشكيل لجنة لبحث تقنيات " الوسواس " في شلّ أي نشاط دماغي، في الإنسان كان أو الروبوت ..

وقال " الوسواس " : « الحديثُ عن شلّ النشاط الدماغي، البشري أو الروبوتي، هو أيضا حديثٌ عن تنشيط الخط التواصُلي لهذا الدماغ، في حالة الاحتياج إلى هذا التّنشيط .. وإذن فالعمل يجبُ أن يكون في الاتجاهيْن، وبتعبير آخر : هو يُشبهُ صنبور الماء الذي يُفتح حينًا ويُغلقُ حينًا آخر » ..

وسألت العالمة " هيفاء " : « عندنا مبدأ في علم " المزاجية الشّمسية "، يسمحُ بالتحكم اليدوي في درجات الضوء المزلي .. فهل ينطبقُ نفسُ المبدأ على العين الدماغية ؟ »..

أجاب : « نعم .. وأكثر من ذلك، نستطيعُ توجيه العدسة الدماغية إلى أي اتجاه نُريد، بحيثُ نتحكم في توجيهها وتضخيمها أو تصغيرها، بلَوْلب يدوي .. وهذه تقنية مُهمةٌ جدًا، لأنّنا نستطيعُ بها التحكم في نشاط الدماغ، تماما كما نتحكم في عملية تكبير أو تصغير قوة المصباح الكهربائي .. وهذه التقنية تجعل حركة المخّ الإنساني تُضبَط على مستوى الحالة النفسية للمرء .. وهي تُغني عن العقاقير الطبية التي تُستخدم لضبط الحالة النفسية والدماغية للإنسان .. فبدل تناوُل الأدوية بهدف الضبط، يستطيعُ المرء أن يتحكم في دماغه بواسطة لولب صغير مُثبت في جسمه .. طبعًا هذا لم يتحقق بعد، لكنه من أهم أحلامنا العلمية الراهنة .. مبدئيًا ونظريًا، أصبح هذا ممكنًا، لكن تحقيقه يتطلبُ بعض الوقت »..

اقتنعتْ " هيفاء " ..

ووجّهتْ إليه سؤالاً آخر : « طالما أوْهَمْتنا بأنك شبح، أو كائنٌ من ضياء، أو بأنكَ جئتَ من السماء .. فما هذا ؟ »..

ضحك " الوسواس " : « كان لا بُدَّ من هذه التّوابل .. فبدُونها ما كنتُ أستطيعُ إقناعَكم بأنّني كائنٌ أخترقُ العقول والقلوب والأسوار، وأوقفُ الإضرابات والأعاصير والحروب .. هذه توابلُ للتّمويه فقط .. فما كنتُ أفعلُه لم يكُن إلا مُجرّدَ اختبارات ميدانية .. اختبارات للبحث من أجل استمرارية الحياة .. فاستمراريةُ الحياة مُهمّة، ولكن الأهم منها هو تنظيمُ هذه الحياة .. وهذا هو هدفي الحقيقي .. هذا هدفي الخفيّ .. أما في واقعي، فأنا في منتهى البساطة.. أنا إنسانٌ بسيط ! »..

وتنفّستْ " هيفاء " الصُّعَداء : « وأنا مثلَك .. بسيطة ! »..

وسألها " الوسواس " : « من أين أنت ؟ »..

أجابت : « من " وادي النّخيل " »..

وصرخَ " الوسواس " : « أنا أيضًا من هناك .. نحنُ من معدن واحد .. من لاشعُور واحد »..

ابتسمَتْ : « لَا بُدّ أن يكون كلُّ هذا صحيحًا، يا ابنَ العمومة ! » ..

□ عاد السلامُ إلى البلد ..

واستعاد كلّ الروبوت برْمَجتَهم السابقة ..

وبدأت هياكلُ البلاد تُمارسُ عملَها ..

وتلقّتْ " هيفاء " اتّصالاً من " باخرة الطيور " .. هذا " جُوبَا " على الخطّ : « نحنُ الطيورُ الآليه نطالبُ بأن يُستثمر مشروع " رحلة الشمس " الذي سبق للسيّد " الوسواس " أن تقدّم به .. وأقترحُ أن

تقتصر هذه الرحلة على أسراب مُتطوّرة من هذه الطيُور .. نحنُ على استعداد للغوص في أعماق الشمس، بهدف تمكين العلوم الأرضية من التّنبُّؤ بنشاطات هذا الفُرن الذي يُقرّرُ مصيرَ كل الكواكب الدائرة في فلكه، ومنها الكوكبُ الأرضي .. نحنُ على استعداد للتّضحية بأنفُسنا من أجل تمكينكم، أنتم البشر، من مُواجهة أيّ غضب محتمل من الشمس » ..

شكرتهُ العالمة " هيفاء " وأكدت : « بالإمكان تطوير الأجهزة التي سترُسَلُ إلى الشمس، بحيث تتكوّنُ من موادّ لا تُؤثّرُ فيها المقذوفاتُ الغازيةُ الشمسية .. نُريدُ من أيّ روبوت راحل إلى الشمس، طيْرًا كان أو إنسانًا، أن يعود إلينا بسلام .. لن ندفع أحدًا إلى المحرقة، إلا إذا تأكّدْنا أنه قادرٌ على الخروج منها بدون أيّ ضرر .. وهذا مُمكنٌ في عصرنا، ونحنُ محظوظون بوُجود علماء كبار من شاكلة السيّد " الوسواس " .. شكرًا لك يا " جُوبَا " على اقتراحك النّيّر الذي سأعرضُه على " لجنة الشمس " التي ستعقدُ أولى اجتماعاتها في الأسبوع القادم .. وسأتصلُ بك لإخبارك بالنتيجة » ..

ثم هتفَت " هيفاء " إلى " عبلة " : « كيف حالُك يا صديقتي ؟ وكيف حالُ " سليمان " ؟ وأين وصلتُما في مُعالجة الوضعَ؟»..

أجابت " عبلة " : « الوضعُ ما زال على حاله .. إنّنا أمام أزمة ألبسة .. فكثيرٌ من الناس تخلّصوا من ألبستهم الإلكترونية، أثناء " الحرب الأهلية "، بعد أن كانت هذه الألبسةُ في حدّ ذاتها جاسُوسًا على لابسيها .. والآن، انتهت " الحرب الأهلية "، ولم نتمكن بعدُ من توفير ألبسة إلكترونية جديدة في مستوى المهام المنوطة بكل كائن

بشري في هذه البلاد » ..

قالت " هيفاء " : « لقد تعهّدت شركةُ الألبسة في " شارع الغفران " بتوفير كل ما نحتاجهُ في ظرف شهر واحد .. فاتّصلي بها، لتسوية كل الأمور المالية والتقنية » ..

- وماذا عن مشروع المنازل ؟

أجابت " هيفاء " : « فعلاً بدأت عمليةُ تصنيفها .. وفي ظرف وجيز سيكونُ كلُّ منزل قادرًا على أن يُنتج بنفسه لباسًا إليكترونيا لكلّ فرد من أفراده .. وسنُوسّعُ دائرةَ الإنتاج حتى يتمكن كلُّ منزل في هذه البلاد من أن يُنتج بنفسه ملابس أفراد عائلته .. وقد تم حتى الآن إحضارُ الموادّ الخام، وآلات جديدة للخياطة، تحت إشراف مؤسسة إليكترونية، وأخرى للتكييف، وثالثة صحّيّة، على أن نستورد في وقت لاحق أعدادًا أخرى، بحيث يستطيعُ كلُّ إنسان في هذه الأرض، وبواسطة آلياته المنزلية، أنْ يصنع بنفسه، وعلى مقاسه، لباسَهُ الذي سيَرْتَديه طول حياته .. وفي هذا السياق، تتضمنُ الدروس التكوينية التي تتواصلُ في جهات مختلفة من البلاد، موادّ تُعلّمُ تقنيات التطويل والتّقصير وغيرها، ليتمكن اللاّبسُ من إصلاح لباسه بنفسه، وفي أيّ ظرف من الظروف، علمًا بأن الألبسة الجديدة تتوفرُ على آلات دقيقة، وبسيطة الاستعمال، لتمكين صاحبها من إصلاحها وضبْطها على مقاسه، أو إضافة مُلحقات إليها، نسيجية أو معدنية أو إليكترونية »..

وعلّقت " عبلة " : « رأسمالُنا الحقيقي هو الإنسان، فإذا حافَظْنا على الإنسان، نجحْنا في كل شيء »..

- وماذا عن " سليمان " ؟

قالت " عبلة " : « يبدو أن مشروع المدينة المطاطية يتمُّ إنجازُهُ بسرعة أكبر من المتوقّع.. فلحد الآن أصبحت لدينا، في هذه البلاد، الكثير من المنازل المطّاطية، وهي جاهزة لاستقبال الناس »..

وضحكت " هيفاء " : « هذا خبرٌ مُفْرح .. نُريد أن يكُون لكل إنسان منزل »..

عقّبتْ " عبلة " : « وفي كلّ منزل مطاطي وسائل الاتصال والتّرفيه والتدفئة، وأيضًا أجهزة التنظيف، والنقل، وكلّ ما يُيسّرُ حياة الإنسان » ..

– شكرًا لكِ يا " عبلة " .. واللهُ يوفّقُ كلّ من يعملُ بجدّ للمصلحة العامّة !

وما هي إلا لحظات حتى كان " سليمان " على خطّ " هيفاء " ..

قال : « أخبرَتْني " عبلة " بمُحادثتكُما الطيّبة .. ومن جهتي، فإنّ مشروع المدينة المطاطية ناجحٌ تمامًا .. أستطيعُ أن أجزم بذلك من الآن .. وهذا ما أكّدتْهُ منذ قليل لجنةُ المراقبة التي اطّلَعَتْ على عيّنات من هذه المنازل .. كما أستطيعُ الجزم بأن الإنسان اليوم قد باتَ بمُستطاعه أن يحمل منزله ويسكُن به في أي مكان يختارُه بمحض إرادته، وفي إطار القوانين المعمول بها .. نحنُ الآن نُنجزُ منازل يمكن حملُها إلى أي مكان .. وحتى عمليةُ النّفخ تتمّ فيها بفضل أجهزة ذكية .. وهذه المنازل لا تمتصُّ لنَفْخها الهواءَ فقط، بل الهواءَ المشحونَ بغازات قابلة لأن تتحوّلَ إلى أدويةٍ للعلاج من جُلّ " أمراض النّوم " ! »..

– ها هي أحلامُنا تتحققُ يا " سليمان "..

قال " سليمان " : « نعم يا " هيفاء " .. نعم يا عالمتنا الكبيرة ..

فحتى عندما نقول إن الإنسان يستطيع أن يحمل منزله إلى أي مكان، فهو لا يحملُه على ظهره، لأنّ المنزل المطاطي فيه آلات تكبُر وتصغُر، حسب الحاجة، ولهُ عجلات هي أيضا تكبُر وتصغُر .. وأجهزة ذكية تتخاطبُ مع صاحب المنزل، وتستجيبُ لرغبات .. فما عليه إلا أن يُعطي الأوامر لمنزله، كي ينقُل نفسَهُ بنفسه إلى أي مكان يختارُه الإنسان .. ويمكنُ لهذا الإنسان أن يضرب موعداً مع منزله في مكان ما، ووقت ما ... ! »..

ضحكت " هيفاء " : « لم يعُد الموظّفون المتنقّلُون من مكان إلى آخر للعمل، بحاجة إلى مصاريف الفنادق .. الفنادق أصبحت مُعدّة للسيّاح فقط .. أما العاملون، والمتنقلون من مكان إلى آخر، فيُمكنُهم أن يأمروا منازلَهم المطاطية بأن تسبقهم إلى المكان المرغوب فيه، وهي مجهّزةٌ بتأمين نفسها بنفسها، على أن يلتحقُوا بها في وقت لاحق، على متن بذلاتهم الطّائرة .. يَا له من عصر! كلُّ ما هو جميلٌ فيه مُتوفّر، ولا يبقى للإنسان فيه إلا أن يحافظ على أعصابه وسلامة وجوده.. شكرًا لك يا " سليمان " .. وإلى اللقاء ! »..

واتصلت " هيفاء " بالروبوت " الخادم " : « ما الجديد " ؟ » ..

أجاب : « كلُّ شيء على ما يُرام .. فحتّى الآن تمكّن الفريقُ المختصّ من تنقية أدمغة حوالي مليون روبوت .. وسنُواصلُ العمل على هذا المنوال .. إن عملية التّنقية لا تتمُّ بأسلوب فردي، بل بطريقة جماعية » ..

- جميلٌ هذا، ولكن هل يُساهم معكم هؤلاء في تطهير آخرين ؟

قال " الخادم " : « لحدّ الآن، لا.. وغداً سيخضعون لمراقبة سريعة، ثم يمرّون في طابور لكي يتناول كلّ واحد منهم قُرْصا فيه برمجةٌ كاملة

تُؤهّلُهم لتنقية أدمغة غيرهم .. وبهذا سترتفعُ وتيرةُ التّنقية، بحيث أن كل روبوت مُنَقَّى الدماغ، يتحولُ إلى إطارٍ لفائدة الروبوت الآخرين المحتاجين إلى تنقية » ..

- شكرا لك يا سيادة " الخادم " ..

ثم اتصلت الدكتورة " هيفاء " بالعالم " الوسواس " : « أهلاً بك يا عالمنا الكبير .. أين أنت ؟ »..

ضحك " الوسواس " : « أنا غارقٌ في العمل .. فتنقيةُ الأدمغة الروبوتية أهونُ من تنقية العواطف البشرية »..

- أجل يا عالمنا الكبير .. فالإنسانُ مُعقّدُ العواطف .. إنه لا ينسى !

قال " الوسواس " : « مهما يكُن، لا خيار لنا نحنُ البشر إلا أن نُخضع أنفُسَنا للمراقبة.. فمصلحتُنا تقتضي أن تكون لنا عواطف نقية .. فما رأيُك يا خبيرَتَنا في " المزاجية الشّمسية " ؟ »..

ضَحكت " هيفاء " : « لستُ خبيرةً في العواطف .. أنتَ لا شكَّ أعرفُ مني .. فماذا تقول ؟ »..

قال " الوسواس " : « الخبرة لا تُكتسبُ إلا مع الآخر .. فهل في حياتك هذا الآخر ؟ »..

احمرّتْ وجْنَتَا " هيفاء " : « وأين هو ؟ »..

قال " الوسواس " : « أنا .. أنا هذا الآخر .. ليتك تُخضعينني لعينيْك يا خبيرتنا في " المزاجية الشّمسية " .. أريدُ أن أعرَف موقعي في " المزاجية العاطفية " .. فما رأيُك ؟ »..

قالت " هيفاء " : « أنت تختزلُ المسافات الطويلة في كلمات .. ألا ترى أنك تسيرُ بسُرعة ؟ »..

أجاب " الوسواس " : « السرعةُ إليك تُريحُني .. ليتك تُساعدينني لكي أسْبَحَ في " المزاجية العاطفية " »..

وضحكت " هيفاء " : « هذا موضوعٌ كبير، يحتاجُ إلى مؤلفات.. ومع ذلك فهذه فعلاً مزاجية .. هي " المزاجية العاطفية " ! »..

□ وعاد " القاضي " إلى " دار الحقّ " ..

" نقابةُ المحامين الروبوت " تعتذر : « نعتذرُ للمحكمة الموقّرة، فنحنُ أيضًا ضحايا لما وقع .. إنّنا جزءٌ من الكُلّ .. عضوٌ من الجسم .. ونُطالبُ بالحصانة .. نُطالبُ بحمايتنا من أي اختراقٍ وتجسُّس مُحتملَيْن في المستقبل » ..

ودعَا " القاضي " العالمَ " الوسواس " إلى تطمين أعضاء النقابة الروبوتية، فقال " الوسواس " : « عندنا مشروعُ قانون سيُعرضُ على السادة البرلمانيين، والروبوت مُمَثَّلون فيه، يُحدّدُ الشروط التي يتوجبُ توفُّرُها للحصول على الحصانة.. وبصراحة، فإن تحصين أيّ روبوت من أي اختراق، سيجعلُنا جميعًا عاجزين عن معالجة هذا الروبوت إذا ما تطلب الأمرُ التسلّل إلى دماغه بهدف استئصال الداء .. فأحيانًا، وحضراتُكم لا تجهلون هذا، تكونُ اللاّحصانةُ أفيدَ للمصلحة العامة من الحصانة الإلكترونية .. وأرجو أن تتقبّلُوا هذا، حتى تُحصرَ الحصانةُ في فئة محدودة، لأن تعميمها سيضرُّ بالمجتمع كلّه، روبوتًا وآدميين.. هذا رأيي .. والنقاشُ مفتُوح » ..

تَدخّلَ "نقيبُ المحامين الروبوت " : « نحنُ محامون، ولا يُعقلُ أن نجد أنفُسنا في موقف مثل الذي كان لنا في قضية " هيفاء " .. فهذه

العالمة، بدل أن ندافع عنها، ونحن دفاعُها، انقلبْنا وصرنا نطالبُ بإدانتها .. هذا الموقفُ المخجل ما كان ليحْدُث لو كانت لنا حصانة إليكترونية .. ومن هذا الباب، نُطالب بالحصانة » ..

وصفق له كلُّ " المحامين الروبوت " ..

وطلب منهم " القاضي " أن يهدأوا ريثما يُبحث الموضوعُ من قبل الجهات المختصّة ..

وخرج العالمُ " الوسواس " وهو يُردّد : « هؤلاء مُشكلة ! »..

أطلعَ العالمة " هيفاء " على تفاصيل ما وقع، فاتّفقَا على الذهاب معًا إلى " شارع الغفران " .. هناك مقرُّ " الحكومة العامّة " ..

استَقبلهُما الحاكمُ الجديد..

قال " الحاكم قارون " : « أتّفقُ تمامًا مع عالمنا الكبير " الوسواس " .. فلا يجوزُ التلاعُب بالحصانة.. إنهم يُريدُوننا أن نُحصّنهم من أنفُسنا .. فماذا نفعلُ إذا أُصيب أحدُهم بالهبل ؟ وكيف نستطيعُ أن نتوغل إلى دماغٍ مُحصّن ؟ عندها لن نعرف شيئًا عن حقوقنا المبرمجة في دماغه، ولن نتمكّنَ من علاجه، وبالتالي ستتعطلُ كلّ شؤوننا العامة.. إن الحصانة لا تخدم المصلحة العامة، ما دامت تحرمُ الإنسانَ من مفاتيح الأسرار الروبوتية .. فالمطلوب إبقاؤهم هكذا، بدون أية حصانة .. فما رأيُ عالمتنا الكبيرة، الدكتورة " هيفاء " ؟ »..

ردّتْ " هيفاء " : « لا خلاف بيننا .. نتّفقُ اتّفاقًا مُطلقًا مع قائدنا .. فعليهم أن يُمهلونا على الأقل بعض الوقت، ريثما نُطوّرُ أبحاثَنا، بإشراف عالمنا " الوسواس " .. فنحنُ نبحث عن طريقة لا تجعلُ الحصانة سلاحًا ذا حدّيْن .. ثم إنهم يطالبون بحصانة فضْفاضة، يطغى عليها طابعُ

الشمولية، بينما يمكن أن نبحث عن أنواع من الحصانات يمكنُ أن تفيد الروبوت، ولكن بدون أن تُلحق أيَّ ضرر بالإنسان .. فسيّدُ الموقف يجب أن يبقى دائمًا هو الإنسانُ، لا الروبوت ! »..

وفي اليوم التالي ظهرت الصحافة الروبوتية بعناوين بارزة تدعو إلى إضراب عام ..

و" نقابةُ المحامين الروبوت " تطالب بالحصانة الإلكترونية ..

" نقابةُ الصحافيين الروبوت "، لها نفسُ المطلب ..

" نقابةُ المعلمين الروبوت "، و " نقابةُ الأطباء الروبوت "، و" نقابةُ المستخدَمين الروبوت " ، و " المهندسين الروبوت " ، و " الطيّارين الروبوت " ، و" القُضاة الروبوت "...

– بل وحتى " الوُزراء الروبوت " !

كلُّهم يُطالبون بالحصانة !

□ وقع الإضرابُ العامّ ..

وشُلّتْ شرايينُ الاقتصاد ..

وأصبحت البلادُ أمام وضع تطغَى عليه خطورةٌ حقيقية .. ففي الوقت الذي تتواصلُ فيه تنقيةُ الأدمغة الروبوتية، وعلى نطاق واسع، ها نحنُ نُفاجأ بإضراب عام ..

يقول قائدُ المضربين : « لن يُوقفَ الروبوت إضرابَهم عن العمل إلى أن تُلبَّى مطالبُهم كلُّها، وليس فقط مطلب الحصانة ! »..

هذا تطوّرٌ آخر ..

فالروبوت لم يعُودُوا يُطالبُون بالحصانة فقط، إنهم يُطالبُون أيضًا

باقتسام السلطة مُناصفةً مع بني آدم ..

ويقولون في آخر بيان لهم : « يجبُ أن يتكوّن نصفُ البرلمان من الروبوت، ونصف الحكومة من الروبوت »!

وبرزت شعاراتٌ تُهددُ بوقف العمل الروبوتي في الأوراش، والخنادق، والطائرات، والجيش، وكل المرافق الحيوية، بما فيها شبكةُ الماء الشروب، وشبكةُ تطهير السوائل، وشبكةُ الكهرباء، والهاتف، والتمريض، وغيرها ...

ويظهرُ في الشاشة " الزعيم الروبوتي " : « أنتم يا بشر تُهينُوننا إهانةً لا نهاية لها .. لا تحترمون عزّةَ النفس فينا .. كلُّ أمراضكم النفسية والعصبية والعقلية تصبُّونها عليها .. وحتى شذوذُكم تُفرغُونهُ في كرامتنا .. ثم تدفعُون بنا إلى أشقّ الأعمال وأوسخها.. وتُوجّهُوننا إلى أخطر المهمّات .. في البحر نحن موجودون .. في الأجواء نحن موجودون .. في كلّ مكان خطر، نحنُ موجودون .. تسيرُون بنا إلى الهلاك، لكي نفْدي بوجودنا حياتَكُم .. ومع ذلك، وأنتم تتبجّحُون بالديمقراطية، لا تسمحون لنا بحقّنا المشروع في أن نكون مُمثَّلين داخل البرلمان، وفي الحكومة، وفي كثير من المؤسسات .. المسؤولياتُ الحيوية لا تُسندونها إلينا، بل إلى كائنات آدمية.. إنهُ التّمييزُ العُنصري تمارسُونه علينا في أبشع صُوَرِه .. وقد آن الأوان، أن نُطالب بحقوقنا كاملة، غير منقوصة ! »..

ثم ظهر في الشاشة نائبُ " الزعيم الروبوتي " : « نُطالبُ بانتخابات حُرّة ونزيهة، بمشاركة كل الروبوت، ولو كانوا في حجم دبّوس أو حُمّص أو في شكل طير .. كلّ الروبوت، صغارًا وكبارًا، من حقهم أن يشاركوا في الانتخابات، وأن يختاروا بطريقة حُرّة، ودون أية

ضغُوطات، من سينُوب عنهم في الحكومة والبرلمان وكل مواقع القرار السياسي والفكري والعلمي والاجتماعي والاقتصادي .. نحنُ الأدمغةُ الآليةُ لا نقلُ عنكم أهمية في هذه البلاد .. بل إنّنا أفضلُ منكم وأقدرُ في كثير من المهمات .. وعليكم ألا تغترّوا أكثر، فنحن هُنا في بلادنا، أسياد مثلما أنتُم أسياد .. كلُّنا سواسية .. وإذا قرّرَت الانتخاباتُ أن يكون " الحاكم " من الروبوت، فليكُن! وهذا بصراحة من مطامحنا المشروعة .. فمن القمة إلى القاعدة، كلُّ المهامّ يجبُ أن تُسندُ إلى الكفاءات أينما كانت، سواءٌ في أوساط البشر أو في أوساطنا نحن الروبوت .. هذه دولتُنا جميعًا .. هذه أرضُنا جميعًا .. ولا فرق فيها بين آدمي وروبوت .. فأحبَبْتُم أم كرهتُم، لا فرق بيننا في كلّ شيء، حتى في المهامّ الشاقّة ! »..

وبعدئذ ظهر في الشاشة رئيسُ " رابطة الروبوت المستقلّين " : « رغم كل المظالم التي يتعرّض لها الروبوت في هذه البلاد، فإن هناك مظالم تعودُ إلى احتقان الإنسان نفسه بخلفيات من العصور الغابرة .. ومن أمثلة هذا التخلُّف، انتقالُ القرابين من قرّابين بشرية إلى قرابين حيوانية، والآن أصبحنا أمام قرابين روبُوتية .. فيجبُ القيامُ بتوعية في أوساط كل بني آدم، ليُدرك الجميع أن الحقيقة لا يملكُها أحد، وأنه ليست في الحياة حقيقةٌ واحدة، بل حقائق .. أقولُ هذا لأنه يحزُّ في النفس أن نجد عندنا، حتى في هذا الزمن المتطوّر، أسواقًا تبيعُ الخرفان الروبوتية .. فترى المرء ذاهبًا إلى السوق كي يشتري خروفًا روبوتيا، وفي يوم " المهرجان الكبير " يأتي به إلى الساحة العامة، فيُهشّمُ رأسَه بذريعة أنه يُقدّمه قربانًا إلى السماء ! فلماذا لم تنته بعدُ من أوساطكم معشر البشر ظاهرةُ القرابين ؟ ولماذا ما زلتُم لا تُدركُون أن الأضحية ليست

تهشيمًا للرؤوس، بل هي تضحية روحيةٌ وسلوكية من أجل المصلحة العامة .. أنتم عاجزون عن فهم الحياة، وعاجزون عن استيعاب رسالات الحياة.. كلُّ واحد منكم يعتبرُ نفسه وحدهُ على حق، وأن الآخرين على ضلال .. وفي الواقع، ليست الحقيقةُ في جانب واحد دون آخر .. الحقيقةُ ليست واحدة، بل هي حقائق .. وهذا واضحٌ في العلوم والتقنيات والمعاملات .. ففي كل المجالات المعاملاتية، توجدُ حقائقُ لا حقيقة واحدة .. وحتى هذه الحقائقُ ليست ثابتة .. ليستْ هناك حقيقةٌ واحدةٌ ثابتة .. الحقائقُ تتغيّرُ بالزمان والمكان، ومعها يتغيّرُ الإنسان، وتتغيّرُ منظومةُ الحياة .. وعلى أساس الحقائق، كانت التعدُّدية في الألوان والكائنات وفي كل مظاهر الحياة، بل كانت الحلولُ التي يتفاوضُ الناسُ بشأنها فيتوصّلون إلى تسويات على أساس أن الحقيقة ليست حكرا على طرف واحد .. والمحاكمُ نفسُها تعترفُ بأن المشتكي والمشتكَى به قد تكون لكل واحد منهما حقيقة أو حقائق، فيقوم القاضي بالفصل بين هذه الحقائق، بإصدار حُكم يراعي فيه حقوقَ كل من الأطراف المتنازعة .. إنّنا ندعوكم معشر البشر إلى الاعتراف بالاختلاف في وجهات النظر، والعقائد، والتطوّرات .. حقُّ الاختلاف هو أيضا من الحقائق المتعدّدة التي يتوجّبُ أخذُها في الاعتبار، وأنتم تبحثُون عن تقليص الخلافات وتوحيد الرُّؤى وفهْمِ معاني الحياة .. فأعيدوا النظر في مفهوم الأضحية، لأن تهشيم رأس روبوت، ليس قربانًا ولن يكون .. والطريقُ إلى السماء لا يكون إذا لم تعترف بحق الآخرين في أن يختارُوا إليها طريقًا آخرَ غير طريقك .. وأضيفُ إلى هذا أنكم ما زلتم حتى في هذا العصر المتطور علميًا تُقدّمون عقائدَكم وكأنها مصدرٌ للكراهية، بينما الأديانُ منبعٌ

للرحمة والخير .. فاعرفوا طريقكم الحقيقي إلى الله .. اللهُ مصدرُ كل الأديان .. وضعَ اللهُ فيها لُعة ظاهرُها مُختلف، وباطنُها واحد .. أجل، كل الأديان تقول في عُمقها كلاما واحدا .. إنهُ رأينا نحن أعضاء " رابطة الروبوت المستقلّين " .. ونلتمسُ منكم تسوية خلافاتكم والمشاكل الناجمة عن صراعات عقائدكم وإيديولوجياتكم .. فإذا لم تعترفوا بحقوق الآدمي الآخر، فإنكم لن تعترفوا بحقوق الروبوت، وستُواصلون إنزال إسقاطاتكم المريضة علينا، وبالتالي ستتسبّبُون في تدمير كل المكاسب الحضارية التي ساهم فيها الروبوت مُساهمات فعالة إلى جانب حُكمائكم وعُلمائكم وعُقلائكم .. وإذن، ولكي نعيش أنتم ونحنُ في سلام ووئام، ونتعاون من أجل حياة أفضل، يتوجبُ عليكم أن تنشروا المعرفة البنّاءة في كل مُجتمعاتكم .. فللأسف، ما زلنا نرى عقليات من عصور القرابين، وهي تفرضُ قناعاتها الجاهلةَ على الآخرين، وتجعلُنا نحنُ الروبوت نؤدي الثمن على المقصلة، نيابة عن الناس ! »..

□ استدعَت " الحكومة العامّة " نُخبة من كبار العلماء، وعلى رأسهم " هيفاء " و " الوسواس " ..

وتكلم " الحاكم قارون " : « طبعًا، لسنا وحدنا هُنا .. ففي سرَاويلنا وأقمصتنا وجُدراننا تُوجدُ أدمغةٌ صناعية .. الروبوت جزءٌ من حياتنا اليومية .. وأكثر من ذلك، وُلدنا وفي أجسامنا رقائق روبوتية تحمل أرقام هُوياتنا .. هذا واقعٌ ليس وليد اليوم، بل تَرعْرَعَ مع آبائنا وأمّهاتنا وها هو جزءٌ مُتطوّرٌ من حاضرنا، وسيكونُ جزءًا من مستقبلنا .. لماذا هذه المقدّمة ؟ الجواب : لإثبات أن مُهمة خُبرائنا في الأدمغة الآلية، مهمةٌ

دقيقة وتتطلبُ معالجة سريعة ! »..

عرف الجميع في هذا المجلس، أن أية كلمة يتفوّهُ بها أيٌّ كان، ستصلُ إلى كلّ الروبوت الغاضبين عن طريق الروبوت المتنصّتين ..

فما العمل ؟

حتى الكلامُ الصريح هُم يَحْذَرُون النطقَ به ..

يَحْذَرُون كلُّهم، وعلى رأسهم " الحاكم قارون "..

وبينما هم كذلك، في تأمُّل على طريق مسدود، رنّ الهاتف ..

وبعد المكالمة قال " الحاكم قارون " : « حضرات السيدات والسادة، انتقلَت العدوى إلى بني آدم .. فقد تمكن بعضُ الروبوت من اختراق نفسية بعض الآدميين، فانضمّ هؤلاء إلى الإضراب العام .. وإذا استمرّ الوضعُ على ما هو عليه، فسينتشرُ الاختراقُ التوجيهي، فيكثر عدد الآدميين الذين يرفعون نفس الشعارات الروبوتية .. نحنُ الآن أمام تهديد بفوضى اجتماعية بدأها مجموعةٌ من " المحامين الروبوت " داخل قاعة دار الحقّ "، ثم انتشرت لنجد أنفُسَنا اليوم أمام شعارات روبوتية على ألسنة آدمية .. فما العمل ؟ »..

خيّم الصمتُ على الجميع ..

وقال مُتدخّل : « علينا بتقنية " الضوء الدماغي الخافت " ! »..

ثم رنّ الهاتفُ من جديد .. وبعد المكالمة قال " الحاكم قارون " : « الواقعُ يُشبهُ التنويم المغناطيسي .. فالروبوت يوجهُ نظرة خاصة إلى الإنسان، وبهذه النظرة يشحنُ دماغَهُ بشعارات روبوتية، ويصبحُ هذا الإنسانُ وكأنه هو الروبوت المضربُ عن العمل »..

وقال متدخّل آخر : « قد نضطرُّ لوقف المعالجات، واستئناف عملية

تكسير الرؤوس المعدنية »..

ثم رنّ الهاتفُ من جديد .. وبعد المكالمة قال " الحاكم قارون " : « ما العمل ؟ ماذا سنفعلُ إذا تمكن الروبوت من الاستيلاء الذهني على كل بني آدم في هذه البلاد ؟ »..

وقال مُتدخّل آخر : « يجبُ تعبئة " الروبوت الأحرار "، فهؤلاء مُحصّنون من أية اختراقات، وبالتالي يُحافظون على نفس عقليتهم السابقة »..

والتفتَتْ " هيفاء " إلى " الوسواس " : « قُلْ شيئًا يا عالمنا الكبير ! »..

تأمّلَها وهو يحُكّ خدَّه .. ثم قال : « هُناك حلّ .. ولكن هذا الحلّ ليس هُنا .. فهل يسمحُ لنا سيادةُ " الحاكم قارون " بالخروج لإعداده ؟ »..

انفضَّ الاجتماع، على أن يُستأنف في وقت لاحق ..

واختلى " الوسواس " إلى " هيفاء " ..

سألَتْهُ : « أين الحلّ ؟ » ..

أجابها : « الحلُّ هُنا .. في عينيْك ؟ »..

ابتسمتْ " هيفاء " ..

و" الوسواس " مُصرٌّ على ما قال ..

ثم همس في أُذُنها، وضحكت ..

ضحكتْ وضحك ..

وغابا عن الأنظار ..

بعد ساعات كان الإضرابُ الروبوتي قد توقّف ..

وتعالتْ في أوساط الروبوت نداءاتٌ تدعو إلى التراجُع شكلا

ومضمونًا عن كل المطالب ..

وتشكلت مُنظمةٌ روبوتية تُطلقُ على نفسها اسم : " الإنسانُ أوّلاً ! " .. هذه المنظمة تطالبُ بإسقاط كل الدعاوى الروبوتية المرفوعة أمام القضاء ضدّ بني آدم .. وأوردتْ في منشور لها واقعةً حدثتْ في " مدينة اللاّضبَاب " : « روبوت أمضى حياته في خدمة عائلة بشرية .. وبعد وفاة العائلة، حضر أشخاصٌ يزعمُون أنهم الورثةُ الشرعيون .. فالتجأ الروبوت إلى " دار الحقّ "، طالبًا إنصافَه » ..

وقد دافع عنهُ " نقيب المحامين الروبوت " حيث قال : « هذا الروبوت أمضى حياته وهو يتصرفُ خلالها كإنسان من لحم ودم .. فقد سكبَ فيه الإنسانُ شخصيتَه وتفكيره وأحلامه، فمات الإنسانُ وبقي الروبوت ليُواصل مشوارَ الإنسان، ورسالة الإنسان .. أليس من حق هذا الروبوت أن يُطالب بحق الإرث ؟ »..

احتدّ النقاشُ بين مُدافع ومعارض ..

وبعد المداولة قضَت " دار الحقّ " بتمتيع الروبوت بالإرث كاملاً ..

وكان هذا الاجتهادُ القضائي مَدْخَلاً لاجتهادات أخرى جعلت الروبوت في كثير من الملفات المعروضة، في منزلة الإنسان ..

المنظمة الروبوتية المسماة " الإنسانُ أوّلاً ! " تحثُّ كلّ الروبوت المتقاضين ضد بني آدم على أن يتنازلوا عن شكاياتهم، وتُبرّرُ ذلك بالقول : « الفضلُ في وجودنا يعودُ إلى الإنسان .. فلولا عبقريةُ الإنسان، ما كان لنا وجود .. ونفسُ الأمر ينطبقُ على استمراريتنا في الوجود .. فلا يمكن أن نستمرّ بدون فكر الإنسان، وعبقرية الإنسان، وتوجيه الإنسان .. فعلينا أن نكون واقعيين، لا أنْ نسير في المنزلقات التي يُعدُّها لنا ثُلّةٌ من

الوصوليين المندسّين في أوساطنا الروبوتية .. فهؤلاء لا يخدمون مصالح الروبوت، بل يخدمون مصالح جهات أخرى ذات منفعة في إحداث صراعات بيننا وبين بني آدم » ..

□ واستُقبلت العالمة " هيفاء " مع العالم " الوسواس "، استقبال الأبطال في مقرّ " الحكومة العامّة "..

وقلّدهُما " الحاكم قارون " وسام " الاستحقاق الشمسي " الذي لم يُمنح من قبلُ لأحد ..

وأثنى " الحاكم قارون " على الثنائي العالم، مُعتبرًا إياهُما همزة وصل بين الإنسان والروبوت .. ودعاهما إلى تنشيط " مجلس الفُهماء " حتى لا يعتني فقط بمشكل الحرارة والضوء على الأرض، أي بمستقبل أمّنا الشمس، بل أيضا بالمصالحة التامة بين الروبوت والإنسان، في حالة حُدوث خلافات بشرية روبوتية في أي حيّ، أو شارع، أو إدارة، أو منزل ..

وقال " الحاكم قارون " : « المحاكم لا تحُلُّ كل المشاكل .. أحيانًا يكونُ اللجوءُ إلى عُلماء أفذاذ مثل " هيفاء " و " الوسواس " أكثر فعالية وإنصافًا .. وأرجوكُما أن تختارَا أطُرًا مُقْتدرة للعمل اليومي في " مجلس الفُهماء " لينصبَّ على تسوية كل المشاكل الروبوتية .. وطبعًا، علينا ألاّ ننسى إحياءَ مشروع " رحلة الشمس " الذي دعا إليه عالمُنا " الوسواس " » ..

وخرج العالمان الكبيران من " الحكومة العامّة " في مُنتهى الانشراح ..

وسألتْ " هيفاء " : « هناك أمرٌ يُحيّرُني .. لغزٌ لا أفهمُه .. ماذا فعلتَ لوقف الإضراب العامّ الروبوتي ؟ »..

ضحك " الوسواس " : « لم أفعل شيئًا .. إنها مُجرّدُ صُدفة ! »..

- صُدفة ؟

قال : « نعم .. فعندما خرَجْنا من مقرّ " الحكومة العامّة " لم يكُن لي أيُّ تصوُّر لفكّ الإضراب العام الروبوتي .. وبالصدفة، بعد خروجنا، تدخل مجموعةٌ من الروبوت، ذوي " النّوايا الحسنَة " ، فتمكّنوا من التأثير الإليكتروني في المضربين.. ببساطة، أقْنَعُوهُم بإيقاف الإضراب العام .. ولحدّ الآن لا أعرفُ السرّ الكامن وراء التأثير والإقناع، ولكن يتوجّبُ أن نَعْرفَه حتى لا تتكرّر الأزمة، خاصة وأنّنا لم نحسم بعدُ في مشاكل الروبوت »..

- وإذن، يمكنُ أن يحدُث الإضرابُ العام من جديد، وفي أية لحظة ؟

ردَّ " الوسواس " : « نعم .. فعلينا بإعادة النظر في العلاقات الإنسانية الروبوتية، جُملةً وتفصيلا .. فبكُلِّ صراحة، هناك مطالب روبوتية مشروعة .. وإذا وجدنا حلولا حاسمةً لهذه المطالب، فإنّ هذا سيكون لمصلحة بني آدم .. فمصلحةُ الإنسان تقتضي أن تُسَوَّى المشاكل البشرية العالقة مع الروبوت »..

وعلّقتْ " هيفاء " : « كلّنا في هذا الزمن مُطالَبُون بإعادة النظر في أنفُسنا .. فالدماغُ البشري أصبح غير نظيف، وكذلك الدماغُ الروبوتي .. ما أحوجَنا جميعًا إلى غسل دماغ ! »..

ونظر " الوسواس " في عينيْها ..

ونظرتْ " هيفاء " في عينيْه ..

" هيفاء " مسحورةٌ بهذا " الوسواس " .. هو لغزٌ فيه كلُّ ما هو قويٌّ وجبّارٌ ومُغامر ..

وفي لحظة مُكاشفة باحَ لها أنه من سُلالة الكائنات الخفيّة .. جدُّهُ قال له ذلك .. أبوهُ كان مُقتنعًا بأن الجدّ الأكبر للعائلة لم يكُن من بني آدم .. اندمجَ في الحياة البشرية، ففَقدَ قُدْرَتَهُ على الاختفاء من الزمان والمكان، وأصبح مثل جميع الناس، خاضعًا للنّواميس الأرضية ..

سارت " هيفاء " في أحلام بعيدة ..

وقال لها " الوسواس " : « أنا شديدُ الاقتناع بأنّ أصْلي يمتدُّ إلى عوالمَ أخرى .. فرغم أنّني وُلدتُ هُنا، وترعرعتُ هنا، وأنا واحدٌ ممّن إذا رحَلُوا فلن يرحلُوا إلاّ من هُنا، فإنّ قناعةً عميقة تجعلُني أنظُر دائما إلى ما وراء الزمان، وما وراء المكان .. ولكم أشتاقُ إلى رحلة طويلة في السماوات .. فهل تُرافقينني يا ابنةَ العمومة، إلى العوالم الفَوقية الجميلة ؟ »..

أقحمَ " الوسواس " في نفسيتها أنه من طينة أخرى، غير طينة البشر ..

وإذن، هي أيضًا قد تكونُ جذورُها من عوالم أخرى، عنّا خفيّة !

وهل كلُّ سُكان الأرض من آدم وحوّاء ؟

أليس فيهم أحفادُ كائنات أخرى ؟

قالت في نفسها : « إذا استطاع الشبحُ أنْ يتحوّلَ إلى إنسان، فهل يستطيعُ الإنسانُ أنْ يتحوّلَ إلى شبح ؟ إن جاذبية غريبة تجعلُنا نحن البشر نربطُ حياتنا بكائنات غير مرئية .. فهل هذا محضُ خيال؟ أم هو الانجذابُ إلى المجهول ؟ »..

□ وصل إلى مقرّ " الحكومة العامّة " عسكريٌّ من " المرّيخ " ..

أجرى محادثات مُطوّلة مع " الحاكم قارون " ..

ولا أحد يعرفُ شيئًا عمّا دارَ بينهُما.. إلاّ أن بعضَ الصُّحُف الصادرة

في مُستعْمَرَة " المرّيخ "، تحدَّثتْ عن أن المطلوب من " الحكومة العامّة " هو أن تستوعبَ أن الحرب الدائرة رحاها، وبطريقة تقليدية، بين قَمَرَيْن من أتباع كوكب " زُحل " يُمكنُ أن تمتدّ حتى إلى الأرض، خاصة وأن تقنيات عالية بدأتْ تتسربُ إلى الأطراف المتناحرة من مصادر حتى الآن مجهولة ..

وبعدئذ تم استدعاءُ " الوسواس " إلى " الحكومة العامّة "، وعقدَ معهُ " الحاكم قارون " جلسةَ عمل على انفراد، وبدون حضور أيّ روبوت، وبعيدًا عن أية عيُون وآذان اصطناعية ..

وقبل الجلسة حَرصَ " الحاكم قارون " على أن ينزع الطرفان كلَّ أجهزة الاتصال والمراقبة الملتصقة بألبستهما، مع شلّ كل قُدرة للأجهزة الدقيقة المزروعة في جسم كلّ واحد منهما، وذلك حفاظا على سرية المحادثة ..

وقال " الحاكم قارون " : « أبلغَني عسكريٌّ " المرّيخ " أن التّقنيات التي ظهرتْ في الحرب القائمة حاليا بين قَمَرَيْن من أتباع كوكب " زُحل "، هي تقنياتٌ بعيدة المدى، أي لا تقتصرُ على فضاءات " زُحل "، بل تؤثّرُ تأثيرًا كبيرًا على كثير من كواكب المجموعة الشمسية، ومنها كوكبُ الأرض .. وأطْلَعَني على أنّ هذه التّقنيات تؤثّرُ على الروبوت وعلى كل الأجهزة الذّكية التي نستخدمُها في حياتنا اليومية .. ثم سألني إن كانت الروبوتات عندنا غير مُصابة بأعراض الهبل، وعندما أبلغتُه أنهم غيرُ عادين هذه الأيام، أخبرني أن مُستعْمَرَة " المرّيخ "، باعتبارها تابعة لنظام الحُكم القائم في كوكب الأرض، تضعُ رهن إشارتنا شبكةً للمقاومة، منْعًا لأيّ تسلُّل لهذه التأثيرات إلى الأجهزة الذكية في الأرض .. ونحنُ

بحاجة عاجلة إلى وفد تقني يتكوّنُ من نُخبة من أجْوَد أطُرنا، برئاستك أنتَ سيادة " الوسواس "، لضبط تلك التقنيات والعودة من " المرّيخ " بأجهزة المقاومة المتطورة إلى هُنا في أسرع وقت مُمكن .. فهل تقبلْ هذه المهمة ؟ »..

أجاب " الوسواس " بدون تردُّد : « الوطنُ فوق كلّ اعتبار .. أنا جاهز » ..

– وإذن، سنقومُ معًا بإعداد قائمة لأعضاء الوفد الذي سيُرافقُك إلى " المرّيخ " .. اختَرْ من تشاء، باستثناء العالمة " هيفاء "، ففي هذا الظرف العصيب، الوطنُ بحاجة إليها !

انحنَى " الوسواس " برأسه، وكأنما يُفكّرُ في أمر، ثم أوْمَأ لهُ مُوافقًا ..

□ كانت " هيفاء " تتفرّجُ في شاشة حائطها المنزلي، عندما اتصل بها " الحاكم قارون " ..

هي الأخرى عقدَ معها جلسةً مُغلقة، مُحاطة بكل الاحتياطات، وأخْبرَها أنّ " الوسواس " مُسافرٌ في مهمة رسمية إلى مُستعْمَرَة " المرّيخ "، ثم أضاف : « أنت هُنا لتَلَقّي معلومات يجبُ أن تبقى في غاية السرية .. فقد تأكدَ بما لا يَدَعُ مجالاً للشكّ، أن ما أصابَ الروبوت في بلادنا، وعلى كل المستويات، ليس مصْدرُهُ لا " الضوء الدماغي الخافت " ولا غيرُه، بل تقنيات عالية مبثُوثة إلينا من أحد المتصارعين في حرب ضروس بين قمرين من أتباع كوكب " زُحل " .. هذه حربٌ تدورُ ظاهريًا بأسلحة تقليدية، ولكن في الخفاء هناك تجهيزات جدّ متطوّرة، وقوية، تستغلُّ هذا النزاع المسلح لضرب آلياتنا الذكية.. وهذا يعني أن حرب " زُحل " هي

أيضًا حربٌ ضدّنا .. فما العملُ يا عالمتنا الكبيرة ؟ »..

فوجئتْ " هيفاء " بالخبر ..

هذا آخر ما يمكنُ أن يخطُرَ على البال ..

فكيف يُعقلُ أن يشتعل نزاعٌ في " زُحل "، فتصل شراراتُه إلينا، ونحنُ في الأرض ؟

سألتْ " هيفاء " : « ما المطلوبُ منّي يا سيادة " الحاكم قارون " ؟ » ..

قال : « علينا أن نتّخذ إجراءًا مُؤلمًا .. هو إجراءٌ يُشبهُ الكيَّ الذي كان يستخدمهُ الأقدمون لعلاج أنواع من الجراح والأمراض .. هذا مُؤلم، ولكن لا بُدّ منه، إذا توخّينا العلاج الناجع ! »..

جحظتْ عيناها وهي لا تعرفُ ما يقصد..

فاستطردَ قائلا : « سنُلقي القبض على كلّ الأطُر الروبوتية ! »..

- نُلقي عليهم القبض ؟

قال : « أجل .. وذلك لحمايتهم ! »..

- أنا لم أفهم شيئًا يا سيادة " الحاكم قارون " ..

قال : « الروبوت البُسطاء، العاديون، المُبَرمَجون برمَجات بسيطة .. هؤلاء لا خوف عليهم، ولا خوف منهُم .. سيبقون في مُهمّاتهم لتغطية احتياجاتنا الضرورية مثل الأمن والتّعليم والتّمريض والمعلوميات العادية .. لكن القضاء والصحافة والطب والهندسة والطيران والشؤون العسكرية والاستعلاماتية وغيرها، هذه لن يُسمح بإدارتها إلا للبشر.. وعلينا أن نُلقي القبض على الروبوت السياسيين والصحافيين والقضاة والمحامين وكبار العسكريين والأطُر الأمنية وغير هؤلاء من الأطُر الروبوتية العُليا.. وعلينا أن ننزع من كل واحد منهم بطاريتَه، وأُذُنه التي يسمعُ بها، وأنفَهُ

الذي به يشُمّ، وعينَه التي بها يرى، وغير ذلك من أعضائه الأساسية.. وبعد تحييدهم تحييدًا مُطلقًا، سنُدخلُهم إلى مُستودع أنيق.. وعندما تنتهي حالةُ الطوارئ، ننفُضُ عنهم الغبار، ونُعيدُ إليهم أياديهم وأقدامهم وآذانهم وأنوفَهم وكل الوسائل الضرورية لاستعادة نشاطاتهم، باعتبارهم أطُرًا عُليا في هذه البلاد .. وسنُقيم حفلاً وطنيًا لتكريمهم، قبل إعادتهم إلى مَناصبهم العُليا .. وإذن، فمن مصلحتهم، ومصلحة الوطن، عدم تعريضهم للمخاطر الآتية من " زُحل " .. وسنبقى على تنسيق تامّ مع أصدقائنا في مُستعْمَرَة " المرّيخ " التي هي أكثرُ انشغالاً منّا بما يحدُثُ في " زُحل " .. فما قولُك ؟ »..

اندهشَتْ " هيفاء " لمَا سمعتْ : « الحياةُ فوق كلّ اعتبار يا سيادة " الحاكم قارون " .. وعلَينا واجبُ حماية الحياة .. فما المطلوبُ منّي ؟ »..

قال : « ستُشكّلين فريقًا تقنيًا لتحديد الأهداف، والإشراف على تنفيذ المطلوب .. يجبُ ألا يتعدّى الفريق عشرة أشخاص من الكفاءات البشرية، على أن تكون معروفة بضمائرها الحيّة، وبحفاظها على السرّ .. فيجبُ ألا يتسرّبَ هذا السّرُّ إلى أيّ كان .. فإذا خرج السرّ، فإن كلّ الأطُر الروبوتية العُليا ستتألّبُ ضدّنا، حتى ونحنُ نعملُ من أجل مصلحتها ومصلحة الوطن .. يجبُ أن نُباغتَهُم، كلّ واحد منهم على انفراد، ثم نُودعُهم في المكان الآمن الذي سنُحدّدُه .. فهل أنت مُوافقة ؟ أنا لا أراك إلا مُوافقة، خاصة وأن هذه أيضًا تدخُلُ في إطار اختصاصك الهادف إلى مُصالحة بين الروبوت والإنسان، حفاظًا على مسيرتنا الحضارية » ..

- نعم يا سيادة " الحاكم قارون " .. أنا على استعداد !

□ وصلتْ رسالةٌ إلى " هيفاء "..

رسالةٌ من " الوسواس " : « أنا راحلٌ إلى مُستعْمرة " المرّيخ ".. لكَمْ أنا حزينٌ في أعماقي .. أنا المناضلُ من أجل الحُرّية، أجدُني ذاهبًا إلى كوكب يستعمرُه كوكبي .. أنا لا أقبلُ أن أكون مُستعمرًا .. ولا أرضي لوطني أنْ يكون مُستعمرًا .. ولا لبني وطني أن يكونوا مُستعمرين .. وإنّني عندما ينتهي التّوتُّر، سَأقودُ حملةً في وطني من أجل حُرية " المَرّيخ " »..

وردّتْ " هيفاء " : « لم تُحدّثْني عمّن معك .. هل في وفْدكَ من لا أعرفُه؟ أُريدُ أن أعرف كلَّ شيء .. أنا بك مُتشبّثة .. وعليك خائفة .. ولا أتمنّى إلا عودتَك، مرفوعَ الرأس كما عهدتُك ! »..

ولم تسألْهُ أكثر .. فالمراسلاتُ يجب أن تبقى في حدود العواطف، حتى لا تنفلتَ إلى كشف أسرار عن مُهمته أو مُهمتها ..

وتواصلت المراسلات ..

القلوبُ لا تعرفُ الحدود ..

لا تُقيمُ الحدود، حتى بين عالـمَيْن كبيريْن ..

وشكّلَتْ " هيفاء " فريقَ العَمل .. وانطلقَ الفريقُ يستدرجُ الأطُر الروبوتية العُليا إلى إدارات، واجتماعات، ومهامّ خاصة، ثم يُباغتُها بنزع ما يجبُ أن يُنزَع منها ..

وهكذا اختفى " وزراء روبوت "، و " برلمانيون روبوت " ، و " قضاة روبوت " ، و" صحافيون روبوت "، و" مُحامون روبوت "..

واختفى شُعراءُ كبار، وروائيون كبار، ومُطربون كبار .. كلُّهم روبوت !

وأثار اختفاء هذه " الشخصيات الروبوتية الكبيرة " تساؤلات بقية

" الروبوت الكبار " الذين بدأوا يتحفّظون من حُضور الاجتماعات الرسمية، ولا يخرجُون إلى الشوارع، ولا يُسافرون، ولا يردّون على الهاتف ..

كثيرٌ من الأطُر الروبوتية تمّ القبضُ عليها، ولكنّ أطُرًا كثيرة أخرى يُبحثُ عنها دون جدوى !

وتبيّن أن بعض الأُسَرِ الروبوتية الشعبية تستضيفُ كبار الروبوت المختفين ..

اتّضحَ لفريق " هيفاء " أن هناك مُفاجأة ..

وقد كتبَها الفريقُ في مُذكرته السّرية : « نعم، هناك مفاجأة، وهي أن " المجتمع الروبوتي " مُترابط .. مُتعاون .. مُنسجم .. لا فرق فيه بين وزير وإسكافي.. إنها ظاهرة لم نكُنْ نتصوّرُها .. لقد تعامَلْنا مع الروبوت وكأنّنا نتعامل مع بني آدم .. بينما في عالم الروبوت، الكلُّ سواسية .. فعلينا أن نُعيد النظر في طريقة عملنا، وإلا فإن " الشخصيات الروبوتية الكبيرة " الهاربة من قبضتنا، ستُؤلّبُ علينا صغار الروبوت، وعندها لا نستطيعُ التكهُّن بما سيحصُل »..

رفعت العالمة " هيفاء " ملفَّ الظاهرة إلى " الحكومة العامّة "، فبدأ اجتماعٌ طارئ ..

أخبر " الحاكم قارون " " فريقَ " هيفاء " أن هذه الظاهرة ناتجة عن التأخُّر : « أجلْ، تأخّرْنا نسبيًا في مُهاجمة كبار الروبوت .. وهو تأخرٌ له ما يُبرّرُه .. فقد كُنّا في طُور التأهّب .. والآن، وقد حصل ما حصل، أحيطُكم علمًا بخطاب وصلني عبر القناة السرّية، ومفادُهُ ألا خوف من أيّ تمرُّد في أوساط صغار الروبوت .. فهُم يستضيفُون أكابرَهم دون

وعي منهم بخطورة هذه الاستضافة .. فعقولُهم بسيطة، عاجزة عن استيعاب ما يحدُثُ في " زُحل " .. وإذن، فالخطرُ ليس قائمًا في صغار الروبوت بل في كبارهم .. فالكبارُ تأخّرْنا في مُعالجتهم.. وبتعبير آخر، سبقَنا إليهم غيرُنا .. إنهم بعضُ المتحاربين في مُحيط كوكب " زُحل " .. هؤلاء أوصلُوا إلينا إشارات أحْدَثَتْ في بعض كبار الروبوت عندنا حالةَ مناعة .. وهذه المناعة تجعلُهم يطلبُون اللجوء إلى صغار الروبوت .. فالمسألةُ إذن ليست مسألةَ تحسُّب لخطورة عليهم من الأسرة البشرية، بل هي إشارات تضليلية من كوكب " زُحلَ ".. فما العملُ إذن ؟ فكّرُوا جيّدًا .. وخذُوا وقتَكم الكافي للتأمُّل .. ولا تخشوا من أن يُؤثّروا على صغار الروبوت .. إنهم لن يؤثّروا في أحد .. هم فقط مُضلّلُون، أي لا يعرفون ما سيفعلُون »..

- وما الحلّ ؟

قالت العالمة " هيفاء " : « ما دامت المسألةُ بهذه البساطة، فيُمكنُنا أن نسأل صغار الروبوت، واحدا واحدًا، عن ضيُوفهم .. أكيدًا لن يكذبُوا .. فهُم بُسطاء، ومشحونُون ببرامج لا تكذب .. إن الكذاب الأكبر ليس دائمًا من يعرفُ قليلاً، بل أحيانًا من يعرفُ الكثير ! »..

ضحك " الحاكم قارون "..

ومعهُ ضحكت القاعة ..

واستطردَت العالمة " هيفاء " : « كلُّ شيء نسبي .. فقد تكونُ معلومةً في نظر البعض بسيطة، لكنها لدى آخرين قويةٌ خطيرة ! »..

وقال " الحاكم قارون " : « توجدُ رهن إشارتكم أجهزةُ التّنصُّت البعيدة المدى .. يمكنُكم الاستعانة بها .. إنها أجهزةُ تكبير الصوت .. أنتم

تعرفُونها .. فهي تستطيعُ تكبير صوت أشخاص وهو يتحدثون فيما بينهم في مكان بعيد .. تستطيعُ أن تَسمَعهم بدون أن يَشْعُرُوا بك .. هذه أجهزة متطورة، لن يتمكن الروبوت الهاربون من الإحساس بأنها تتَصنّتُ عليهم .. استخدُموها .. فهي ستنفعكُم في هذه المهمّة الدقيقة ! »..

وخرَجوا من " الحكومة العامّة "..

و" الحاكم قارون " يُصافحُهم ويتمنّى لهم كامل التّوفيق ..

والتفَت " الحاكم قارون " إلى " هيفاء " وهو يودّعُها : « لا أُريدُ أيَّ إضرارٍ بأيٍّ من هذه " الشخصيات الروبوتية الكبيرة ".. يجبُ أن تُعتقلَ وهي بسلام تامّ، وأنْ يكون مُعتَقَلُها مُتوفّرًا على كل الظروف الصحية الملائمة لمكانتها المتميّزة .. إنهم أشخاصٌ مُهمّون، ويجبُ أن يُعامَلُوا باحترام.. فنبّهي كلَّ من سيعملون في النشاط الاعتقالي ! »..

– سأفعل يا سيادة " الحاكم قارون "..

□ رسالةٌ مُطوّلةٌ من " الوسواس "..

أخذت " هيفاء " وقتَها كاملاً للقراءة ..

استهلّها بتحية " المرّيخ "، ثم كتَب : « مرآتي .. حسبتُك من نكات الزمن .. فمرَّت بي الفصولُ والفصول .. وكلُّها قالتْ : " المرآةُ قضيتُك .. هي مُستحكمة. . مُتحكّمة .. مُتوغّلة " . إنك يا " هيفاء " قضيةٌ واقفة .. على أحلامي واقفة .. وما أقسَى الثمن ! ما أقسَى الحرمان يا شقيقة الحرف .. والمعنى .. والمعاناة .. ما أقسَى الثمن يا تُفّاحة الحكمة .. يا قيثارةَ الخير .. يا صدرَ الفضيلة .. يا أميرةَ السلام .. يا ضياءَ الحياة .. يا مرآة ! »..

هذه فقرةٌ من رسالة طويلة أرْفقها بقائمة الوفد الراحل معهُ إلى " المرّيخ " ..
بدأت " هيفاء " تقرأ الأسماء، اسمًا بعد الآخر، ثم توقّفت مشدوهة :
« " عبلة " ؟ " عبلة " في رحلة " المرّيخ " ؟ ! » ..
وأعادت قراءةَ الأسماء : « امرأة واحدة فقط ضمن وفدٍ رجالي مع " الوسواس " ؟ ولماذا " عبلة " بالذات ؟ » ..
اتّصلتْ بمنزل " عبلة " : « ألو .. " الخادم " ؟ أين " سليمان " ؟ » ..
أجاب : « ليس هُنا .. إنهُ غاضب ! » ..
- غاضب ؟ ممّن ؟
ردَّ " الخادم " من " عبلة " .. فقد طلبتْ من " الوسواس " ما طلبَت، وبدون علمه ! » ..
- بدون علمه ؟ وأين هو الآن ؟
قال : « في " دار الغاضبين " ! » ..
وأدارَت الهاتف : « ألو .. " دار الغاضبين " ؟ أريدُ " سليمان " ! » ..
- ليس هُنا .. لقد خرَج ..
وحاولت الاتصال بهاتف بذلته، دون جدوى ..
.. دون جدوى ..
وبحذائه .. دون جدوى ..
فأين هو ؟

□ وهذه رسالةٌ رقيقةٌ أخرى تصلُ من " الوسواس " ..
هي أيضًا رومانسية ومرموزة .. وممّا قال فيها : « ركبتُ الطائر .. حلّق بي على المدينة .. وفي واحةِ العُشّاق يشتعلُ النور .. إن المدينة في

عيد .. هبّت الرياح .. واشتدّت العواصف .. وانطفأت الأضواءُ في البلد .. ولكزتُ الطائر .. ودخلْنا إلى الظلام .. هذا عالمٌ مُظلمٌ يلمعُ فيه كوخ .. كوخٌ واحدٌ تشتعلُ به شمعة .. هذه سعادتي .. ثم لكزتُ الطائر .. وابتعدْنا .. الرياحُ ما زالت عنيفة .. والشمعةُ صامدة .. وبنُورها تتنوّرُ الدنيا .. بالنُّور نُعاين الأزقة المظلمة .. بالشمعة نحن مُبصرُون .. واقفُون .. نلتمسُ البشائر ...» ..

لم تُكمل " هيفاء " القراءة ..

هي رسالة عاطفية مثل سابقاتها ..

لن تُجيب عنها .. فما دامت لا تعرفُ الحقيقة، فلن تُجيب .. ستلتزمُ الصمت، وكأنها غيرُ معنية برسائله ..

قالت لنفسها : « أنا لا أعرفُ سببًا واحدًا يجعلُه يختارُ " عبلة " بالذات .. " عبلة " المرأة الوحيدة في وفد كلُّه رجال ؟ ! هذا ليس بريئًا ! »..

وبدأت الشكوكُ تحومُ في قلبها ..

ثم تصلُها رسالةٌ ثالثة ..

هذه أيضا شاعرية طويلة، وممّا ورد فيها : « الدنيا تدُور .. هي في أعماقي كدوّامة .. كلٌّ منا دائرٌ حول الآخر .. وإني أحاول أن أبْقىَ على التوازُن .. والمحاولةُ لا تستقيم .. ويندفعُ العرقُ من جبيني وكلُّ أوصالي .. والحرارةُ مُرتفعة .. ويُسمعُني النابضُ دقّاته عنيفة .. وأنقلبُ على السرير .. وتَدفعُني الحُمّى إلى نوم عميق .. وفي المَنام أرى الشمسَ قد احمرّت .. والسماءَ قد اكتستْ لَونًا غريبًا .. وشيءٌ من النور في كل هذا .. ولكنّ هذا ليس بالنور .. وأسمعُ الشمس تقول : " لا تخْشَ الظلام، إنه لعبةٌ ظرفية .. إنه موسمٌ زائل ! " ... »..

وتطوي " هيفاء " الرسالة ..
كلامُهُ قويّ ..
ومشاعرُه قوية ..
ولكن، ما لغزُ " عبلة " ؟ لماذا اختارَها هي دون كل النساء ؟
الغيرةُ تدُبُّ إلى أوصالها ..
وتساءلت : « أوَلاَ يكُونُ كلامُهُ هذا مكتُوبًا لها، ثم مرسُولاً إليّ ؟ !» ..
تأوّهَتْ " هيفاء " : « هذا عالمٌ كبير .. والعلماءُ الكبار قلَّما يستفُون طاقاتهم من مَصْدَرٍ واحد .. هُم كالفنّانين والسياسيين والكُتّاب، لا يعشقُون لونًا واحدًا .. ولا يقطفُون وردةً واحدة .. كلُّ الزهور يعتبرُونها من حقّهم .. وأياديهم تمتدُّ إلى أيٍّ جميلٍ قادرٍ على تحريك مشاعرِ الإبداع فيهم .. ثم تراهُم يُنشدون الأشعار، ويقرأونها على أول أنثى يلتقون بها في الطريق »..
لكنها استدركت : « رُبّما أنا مُخطئة .. ومهما يكُنْ، فهل عشقُ الجمال محظور ؟ وإذا كان حرامًا، فهل هو وقفٌ على الرجُل ؟ ! »..
صمّمت " هيفاء " أن تعرف الحقيقة ..
هي لا تقبلُ أن تُزاحمها امرأةٌ أخرى في رجُل ..
ومرة أخرى، لن تُجيب " الوسواس " ..
إنها منهُ غضبانة، وعليه غيورة !

□ وأخذت الهاتف ..
هذه المرّة كان " سليمان " على الخط ..
ضربتْ لهُ موعدًا في حديقة العموم ..

وفي الطريق التقَتْ " جُوبَا " : « لم نعُد نراك، فأين أنتَ يا سيّدَ " باخرة الطيور " ؟ »..

قال : « كنتُ مُنشغلاً بالإعداد لأنشطةٍ في " مجتمع الطيور " »..

- وما هذه الأنشطة ؟

ردَّ " جُوبَا " : « مُحاضرات وندوات ومُنافسات رياضية وفكرية .. نُريدُ أن نُنشّط مُجتمعَنا حتى ينفُضَ عنهُ غُبارَ الخمول .. لقد أصبحنا ندورُ في حلقات مُفرغَة .. فمن العمل إلى النّوم، ومن النوم إلى العمل .. أيامُنا تدورُ على هذا المنوال .. فيجبُ أن نُكسّر الرُّوتين ! »..

حرّكت " هيفاء " رأسَها : « معكَ الحقّ .. وكلُّنا هذا الرُّوتين » ..

قال " جُوبَا " : « أنتِ مدعُوةٌ لحضور ندوة عن المستقبل .. هل هذا يهمُّك ؟ »..

أجابتْ : « نعَم .. ومتى ؟ »..

قال : « غدًا في منتصف النهار .. سيشاركُ في الندوة طائرٌ من المستقبل » ..

- من المستقبل ؟

قال " جُوبَا " : « نعَم .. هذا طائرٌ يشتغلُ معي في " باخرة الطيور " .. إنهُ زائرٌ من المستقبل .. وسيبقَى معنَا إلى أن يستطيع العودة » ..

قطبت " هيفاء " جبينَها : « وهل هو عاجزٌ عن العودة إلى المستقبل ؟ »..

- أجل .. ولذلك هو معنا في الباخرة .. ينتظرُ الوقت الملائم للسفر ...» ..

قاطعتهُ " هيفاء " : « وإذن، ليس هناك أيُّ مشكل .. يمكنهُ أن يبقى في الحاضر .. فالحاضرُ مركبةٌ ستنقلُه حتمًا إلى المستقبل، في يوم

من الأيام ! »..

ضحك " جُوبَا " : « ولكنهُ في حالة استعجال .. إن له هناك مشاغل .. وعلى كلّ حال، أنت مدعوةٌ إلى الندوة .. فلا تنسيْ ! »..

ودّعتهُ وواصلت الطريق إلى حديقة العموم ..

كان " سليمان " ينتظرُها ..

جلسَا جنبًا إلى جنب على كرسي..

وقبل أن تنبس بكلمة سألَها : « ألم يجد " الوسواس " سوى " عبلة " لتُرافقَهُ إلى مُستعْمَرَة " المرّيخ " ؟ »..

لم تَدْرِ " هيفاء " كيف تُجيب ..

قال " سليمان " : « لا شكّ يُريدُ اختطافَها منّي ! »..

كتمتْ " هيفاء " مشاعرَها : « ولماذا يختطفُها منك ؟ هل هي عجينةٌ طيّعةٌ في يديْه ؟ »..

سكتَ " سليمان " ..

وبعد حين قال : « لستُ أدري من منهُما طيّعٌ في يد الآخر ! »..

ها هي " هيفاء " و" سليمان " على خطٍّ واحد .. فليستْ " هيفاء " وحدَها تشُكُّ في العلاقة بينهُما ..

هدّأتهُ " هيفاء " وقالت : « عسى أن يكون ما يخطرُ على بالك مُجردَ سراب ! »..

- بل هو وسواس !

ثم صرخ " سليمان " : « هو " الوسواس " يُريدُ تخريبَ عُشّي ! »..

وحاولتْ تهدئتَه مرة أخرى : « وهل تُحبُّها إلى هذه الدرجة ؟ »..

- لا .. لا أحبُّ من لا تسمعُ كلامي !

وسألتـهُ " هيفاء " : « وهـل طلبتَ منها ألا تكون ضمـن فريق الرحلة إلى مُستعْمَرَة " المرّيخ " ؟ »..

- نعم .. ولكنـهـا أجـابتني بـالرفض .. فـهي تُدخلُ هـذه الرحلة في مـصلحـة الوطن. . وأنا لا أجـدُ عـلاقـةً بين الـوطن وهذه الرحلة .. وإذا كانت هناك عـلاقة، فـإن الكثيرين يُمـكنهم أن يشاركوا فيهـا .. فلماذا اختارها " الوسواس " هي بالذات ؟ »..

سكتتْ " هيفاء " ..

هو إذن يَسْتَنْتجُ نفسَ ما استنْتجَتْهُ هي !

وسألتهُ " هيفاء " : « وهل كتبتْ إليك " عبلة " ؟ »..

قال : « أنا لم أقرأ رسائلَها .. ولن أقرأها .. أنا غاضبٌ منها .. غاضبٌ عليها ! »..

لحُسن الحظ لا يعـرفُ " سليمان " شيئًا عن علاقة " هيـفاء " بذلك " الوسواس " ..

لو عـرفَ أن بينهُـما عـواطف، لانْفَـجرَ بطريقـة أخـرى .. وعلى كل حال، وسـواءٌ بطريقة أو بأخـرى، فإن " سليمـان " قد أصـبح في حالة لا تسمحُ بأيّ حديث ..

دعَتْهُ " هيفاء " إلي التزام الهدوء ..

لكنهُ أجـابَ بصـرامـة : « لن أعـود إلى المنزل .. سـأبقى في " دار الغاضبين " ! »..

وودّعَتهُ على أمل أن تجدهُ في لقاء قادم أحسنَ حالاً ..

وفي هذه الأثناء تَدَبْدَبَ قميصُ " هيـفاء ".. هذه رسالةٌ أخرى من " الوسواس " ..

قالت في نفسها وهي تفتح الرسالة : « ماذا كتب هذه المرة أيضا ذلك الألعبان ؟ » ..

كسابقاتها، هذه أيضًا رسالةٌ عاطفيةٌ طويلة .. وممّا جاء فيها : « ليتَ السّحابة تعلم أنّ من أجلها أتدثّر .. أتدثّرُ كي أراها جيّدًا .. وأتملّى بوجْهها الصبُوح .. هذا أنا يا حبيبةَ السماء .. يا أمُومةَ الخير .. يا موطنَ الأنوار .. سيّدتي السحابة .. عندما تُمطرين أهلّل .. أقولُ إن للعالم قلبًا وضميرًا .. وأتمنى لو أسْكُبُ أعماقي في رحاب الكون .. أتمنى لو أصرْ مثلك سحابًا .. فلا حياةَ للأرض بلا رذاذِ السماء .. ويا ربِّ قُلْ للنّورِ أن يَرْحَمَ الظلام ! ... »..

ولم تُكملْ " هيفاء " قراءَةَ الرسالة ..

ولم تُجبْ عنها : « لن أفعل أيَّ شيء، إلا إذا عرفتُ الحقيقة .. حقيقةَ إقحام " عبلة " في رحلةٍ رجالية »..

□ تمّ القبضُ على كثير من كبار الروبوت ..

وُزراءُ وبرلمانيون وزُعماء أحزاب، ومنهم قائدُ دكّان سياسي .. وأيضًا ضبّاط وعُمداء هنا وهناك .. كلُّ هؤلاء وغيرُهم جرى إبطالُ أنشطتهم الدماغية، ويوجدون حاليا في مُستودع الانتظار ..

بيد أن مجموعةً من الروبوت المبحوث عنهم، ما زالوا في عداد المفقودين ..

لا أحد في البلاد يعرفُ عنهم شيئًا .. فهل اختفوا بمحض إرادتهم ؟ أم تعرّضُوا لاختطاف ؟

دعتْ " هيفاء " ، العالمة في " المزاجية الشّمسية "، إلى اجتماع

" مجلس الفُهماء " ..

ونُوقش الموضوعُ بعُمق، فتوصل المجلسُ إلى استنتاج أنّ هذا الاختفاء المنحصر في مجموعة محدودة من الأطُر الروبوتية العُليا، يُرجَّحُ ألا تكون لهُ علاقة لا بالأحداث الأخيرة، ولا بالتأثيرات المبثوثة إلينا من بعض المتحاربين في محيط كوكب " زُحل " ..

إلا أنّ واحدًا من هؤلاء بالذات يجبُ إحضارُه، في السماء كانَ أو البحر !

إنه " الروبوت فرْقاع " : " الوزير الأكبر " السابق ..

وأُعطيت الأوامر لإحضار " الروبوت فرْقاع "، مهما كلّف ذلك من ثمن .. فهو ليس إطارًا فقط، بل يحتفظُ في دماغه بمعلومات في غاية السرّية .. ولهُ في ذاكرته ملفات تكتسي طابعَ الخطورة ..

ولم ينتبه إليه أحدٌ إلا الآن، لأنّه لم يبتعد عن الحُكم بشكل طبيعي، بل تمت إزاحتُه !

اتصلت العالمة " هيفاء " بمقرّ " الحكومة العامّة "، فأصدر " الحاكم قارون " أمرًا يقضي بتكثيف البحث عنه، وآخر يقضي بغربلة كلّ قنوات الاتصال الكوني لمعرفة ما إذا كانت قد تسرّبتْ معلوماتٌ سرّية من دماغه إلى جهات أجنبية .. والمطلوبُ إعدادُ كشف شامل لكل الاتصالات التي أجراها، أو أُجريتْ باسمه، سواءٌ في الداخل أو مع العالم الخارجي » ..

وانطلقتْ شبكةٌ واسعة من المؤسّسات المعنية في البحث عن " الوزير الأكبر " السابق، " الروبوت فرْقاع " ..

وخرجتْ " هيفاء " من الاجتماع ورأسُها يدور ..

تناولت حبّةً طاقويّة ..
وتوجّهتْ إلى " ندوة الطيور " ..

□ بدأت الندوة ..
هذا " جُوبَا " في المنصّة مع نجم الندوة، " طائر المستقبل "، وبجانبه غزالٌ خبير في " المزاجية المستقبلية " ..
أثار انتباه العالمة " هيفاء " ذلك الغزالُ الروبوت، فاستمعت بعناية خاصة إلى عرضه الذي تناول فيه قضايا هامّة، ومنها قولُه : « إن ما تحدَّث عنهُ صديقي " طائر المستقبل " لا ينطبقُ عليه وحده، بل ينطبقُ على كثير منّا في هذا العالم، بشرًا وروبوتيين .. ففي واقع الحال، كلُّنا جئنا من الماضي، وأيضا أتيْنا من المستقبل .. وليس في ذلك أيُّ خلط أو تناقُض .. إنّنا جميعًا أبناءُ المستقبل، كما نحنُ أبناءُ الماضي .. وإذا كان صديقي الطائر يحنُّ إلى أصله المستقبلي، فإنني أحنُّ إلى أصلي الماضوي.. وأستطيعُ أن أجزم لكم أنّ القفز من زمان إلى آخر مُمكنٌ من المنظور المكاني للأزمنة المتباعدة في هذا الكون الشاسع الرحب .. ولكن الأجمل في القفز الزمني، ليس القفز بالجسد، بل هو القفزُ بالعقل والروح .. وإننا بالعلم نستطيعُ أن نعيش الماضي في المستقبل، والمستقبل في الماضي .. ولكن الرهان الأكبر في ذلك هو الحفاظ على توازُناتنا بين الأمس والغد .. وأصعبُ ما هو مطلوبٌ منّا، ليس المستحيل، بل هو المُمكن .. أجل، حضرات السادة، الحاضرُ أصعبُ ما هو موجود في المعادلة بين الماضي والمُستقبل .. وشكرًا على انتباهكم » ..
صفق الحضورُ بحرارة للمُحاضر ..

وبدأت المناقشة ..

أخذت الكلمة الدكتورة " هيفاء "، العالمة في " المزاجية الشّمسية " : « سيادة الغزال المحترم .. أنت عندنا رمزٌ للجمال والصدق .. وأيضا للانسجام مع صانع الحضارة : الإنسان .. كلُّ الناس الذين احتضنُوا الغزلان، وجدوا فيها بلسمًا نفسانيًا لكثير من اضطراباتهم .. وإنّني إذْ أذكّرُ بهذا الواقع، أسألُ سيادتَك : هل الوقار الذي اكتسَبْتَهُ لنفسك، منْبعُه ذاتي أم من الأخلاقيات الإنسانية، أم " المزاجية المستقبلية " ؟ وشكرا ! »..

ابتسمَ الغزالُ الروبوت، وأجاب : « يُسعدني أن أتلقّى مثل هذا السؤال من عالمتنا الكبيرة، الخبيرة في " المزاجية الشّمسية ".. ولا أُخفيك أن الاحترام يصنعُه الكائنُ لنفسه بنفسه، ولكن باستمداده من الآخرين .. فما دامت عندنا عالمةٌ كبيرة مثل الدكتورة " هيفاء "، فكيف لا أكون غزالاً مُحترمًا ؟ كيف لا أتّسمُ بسلوك وقُور؟ الاحترامُ يا سيدتي نستقيه من بعضنا، ونصنعُه بأنفُسنا .. وأستغلُّها فرصةً لطرح سؤال على العالمة " هيفاء " : من أين لكِ يا دكتورة بكل هذه الجاذبية ؟ »..

اهتزّت القاعة ..

ولكن " هيفاء " كانت مُحافظة على هدوئها : « الجاذبية يا سيدي مثل الاحترام تمامًا، نستقيها من بعضنا، ونصنعُها بأنفُسنا، لنا ولغيرنا »..

وصفّقَ الحضور ..

وانتهت الندوة ..

وخرجتْ " هيفاء " برُفقة الغزال الوقور ..

سألته عن هُويته وتخصصه، فأجاب : « أنا الدكتور " ولهان "..

اختصاصي في " المزاجية المستقبلية " .. هذا التخصُّص يرى أن المستقبل مثل الإنسان، ومثل الشمس، له مزاجٌ يتوجبُ أخذُه في الاعتبار أثناء أي تعامُل مع قضايا الغد » ..

ومنذُ ذلك الوقت، تربطُهما صداقة ..

وصار الدكتور " ولهان " يزورُ الدكتورة " هيفاء " في منزلها، وهي تزورهُ في منزله، ويتحدّثان في كلّ شيء، حتى في الخصُوصيات ..

وباح لها أنهُ يُفكّرُ جدّيًا في أنْ يرتبط بامرأة ..

□ وجاءها البوليسُ ذات مساء ..

سألوا عن الغزال الروبوت، الدكتور " ولهان " .. عن هُويته الحقيقية .. وحياته الخاصة .. وعلاقاته ..

أجابت : « كلُّ ما أعرف، هو أنه مُحاضرٌ مُتخصصٌ في " المزاجية المستقبلية " ، وأنه لطيفُ المعشر، طيّبُ القلب، واسعُ المعرفة، فصيحٌ مُقنع ... »..

وانصرفَ البوليس ..

ثم طرقَ بابَها " سليمان " .. قال : « بعد تفكير عميق، قررتُ أن أطلُبَ يدَك » ..

قطبت جبينَها : « تطلبُ يدي ؟ لماذا ؟ »..

قال : « أريدُك في فراش " عبلة " » ..

- " عبلة " ؟ وهل أنا مجنُونة ؟

ردَّ عليها " سليمان " : « أنا هو المجنون ! »..

ردّتْ " هيفاء " بلهجة صارمة : « أنا لستُ قطعةَ غيار .. هل فهمتَ ؟

لن أرتبط بأيّ كان، إلا إذا أحببته .. وأنت متوفّر على مواصفات نستطيع بها أن تستميل نساءً كثيرات، إلاّ أنا ! »..

قلقَ " سليمان " قلقًا شديدًا، ثم عاد إلى " دار الغاضبين " ..

وعاد البوليسُ مرةً أخرى إلى " هيفاء " : « هل تعرفين مكان اختباء " الوزير الأكبر " السابق، " الروبوت فَرْقَاع " ؟ »..

قالت : « كلُّنا نبحثُ عنه ! »..

– كلُّكم ؟ إنك تتظاهرين بالجهل .. فقُولي الحقيقة يا دكتورة ! »..

– عندئذ رنّ الهاتف : « ألُو .. هُنا مقرُّ " الحكومة العامّة " .. " الحاكم قارون " يدعوكم إلى عقد " مجلس الفُهماء " .. الموعدُ هُنا في الرابعة ! »..

في الرابعة كانت " هيفاء " بقاعة الاجتماع ..

تكلم " الحاكم قارون " قائلا : « تمكّنّا من القبض على " الوزير الأكبر " السابق، " الروبوت فَرْقَاع " .. لقد وجدناهُ مُختبئًا في عباءة الغزال الصناعي، الدكتور " ولهان " .. وهذا تعرفُه الدكتورة " هيفاء " معرفة تامّة، باعتبارها معهُ من خُبراء المزاجيات .. هي في " المزاجية الشمسية "، وهو في " المزاجية المستقبلية " .. المزاجيون يعرفُون بعضَهُم بحُكم تقارُب التخصُّصات » ..

قاطعتهُ " هيفاء " : « يا سيادة " الحاكم قارون " .. لمَ العبثُ بعلوم المزاجيات ؟ العلماء في هذا الزمن أهمّ من المسؤولين السياسيين .. السياسةُ اليوم أقلّ مرتبة من العلم .. ومن هذا المنظور، فإنّهُ غيرُ مسموح لك بأن تمسّ نزاهتي وجدّيتي .. أنا عرفتُ الغزال الصناعي، الدكتور " ولهان " منذ شهر فقط، وذلك في ندوة الطيور .. ولا علم لي لا

بعباءة، ولا بما تُخفي العباءة .. ألتمسُ من " الحاكم قارون " أن يسحب كلّ إشارة تُشكّكُ في نيّتي أو تمسُّ كرامتي ! »..

ها هو الوضعُ قد تأزّم بين " الحاكم قارون " والعالمة " هيفاء "..

وعندها أوتي بالدكتور " ولهان " الذي كان محبوسًا في غرفة بنفس البناية..

وصرّح الغزال " ولهان " في محضر رسمي : « لا علم للدكتورة " هيفاء " بأيّ شيء .. وحتى أنا لم أكُن أعلمُ أن تحت عباءتي يوجدُ كائنٌ غريب.. إنني لم أكتشف اختباء " الوزير الأكبر " السابق، " الروبوت فَرْقَاع "، في داخل عباءتي إلا عندما جاء البوليس. . أنا بريءٌ، و " هيفاء " بريئة » ..

تدخل " الحاكم قارون " : « أنتم تُهوّلون الأمور، فحتى فَرْقَاع " نفسُه برئ .. وهو ليس مُعتقَلاً، بل هو ضيفُنا .. ونحنُ به نُرحّبُ أيّما ترحيب .. فواصلُوا مُناقشاتكم.. واسمحُوا لي بالتحدّث إلى صديقي " الوزير الأكبر " السابق، " الروبوت فَرْقَاع " » ..

ثم انصرف ..

وتَواصَلَ اجتماعُ " مجلس الفهماء " ..

❐ وفي غرفة داخل بناية " الحكومة العامّة "، وأمام " الحاكم قارون "، كان البوليسُ يستنطقُ " الوزير الأكبر " السابق ..

سأله البوليس : « قُل الحقيقة يا " فَرْقَاع ".. كيف اختبأتَ في عباءة الغزال " ولهان " ؟ »..

– طلبتُ الضيافة من عباءته، فرحّبتْ بي ..

- وهل كان على علم بذلك ؟

- لا..

ثم سألهُ البوليس : « وكيف صغَّرْتَ نفسَك إلى حجم كفّ اليد ؟ »..

- كان لا بُد من تصغير حجمي حتى أنْدَسَّ في عباءة " ولهان "..

أمّا كيف، فهذه تقنية معروفة في عالم الروبوت .. فالروبوت يستطيعُ أن يُضخّم نفسَه أو يُصغّرَها، وفقَ الحاجة، وحسب الظروف .. أنا فعلتُ ما يفعلُه الجميع .. فهل خالفتُ القانون ؟ » ..

قال البوليسي المحقِّق : « نعم، خالفتَ القانون، فقد بَثَثْتَ إلى غيرك معلومات في غاية السرّية .. وقد كان عليك قبل الرحيل من مقرّ " الحكومة العامّة "، أن تُسلّم لغيرك كلَّ ملفات الحكومة، لا أن تُبقيها في دماغك ! »..

- لم أتعمّد هذا، فأنا لم أخرُج من " الحكومة العامّة " بمحض إرادتي، بل أخرجوني منها رغم أنفي .. أنا ضحيةُ انقلاب أبيض » ..

وصحَّحَ له البوليسي المحقِّق : « بل هو انقلابٌ أصفر ! انقلابٌ ناتجٌ عن سوء التدبير والتَّسيير » ..

كان " الحاكم قارون " يتتبّعُ باهتمام كلّ تصريحات " الوزير الأكبر " السابق ..

وفي ختام الاستنطاق تدَخَّل " الحاكم قارون " : « إلى من أرسلتَ ملفات الدولة ؟ »..

قال " فَرْقَاع " : « لم أُرْسلها لأحد .. سرقُوها منّي .. استولُوا عليها من دماغي .. لقد تجسّسُوا عليّ .. ثم انقضُّوا على الملفات ونهبُوها »..

- من هم ؟

أجاب " فَرْقَاع " : « أتباعُك .. من يحومون حولك .. هؤلاء هم لصوصُ الملفّات .. فقد كانت الملفّاتُ مخزونةً في دماغي، وفي كامل الصّون والحفظ، لكن جواسيسَك صوّبُوا إليّ كل أطباق التّنصّت، ولم يُمهلُوني إلى أن اختطفُوا الملفات من دماغي.. فهل تعرفُ أين هي الآن ؟ »..

- أين هي ؟

قال " فَرْقَاع " : « إنها في دماغك أيها " الحاكم قارون ".. هي الآن في دماغك .. فلا شرعيةَ لاعتقالي .. اطلقْ سراحي .. واتركني أعُدْ إلى حريّتي ! »..

أشار " الحاكم قارون " إلى جلاّدين قُبالتَه : « عالِجُوه ! عالِجُوه ! »..

وانطلقَ الجلاّدُون في مُهمّتهم ..

ولم يتركوهُ إلى أن تحوّلَ إلى قطع معدنية مُتناثرة هنا وهناك ..

ثم خرج " الحاكم قارون " من الغُرفة ..

وعاد إلى صالة الاجتماع مُبتسمًا ..

كانت " هيفاء " قد انصرفَتْ ..

وأمرَ " الحاكم قارون " حاشيتَه : « أعيدُوا " هيفاء " .. أريدُها في مكتبي ! » ..

وبعد حين، كان " الحاكم قارون " يستقبلُ عالمة " المزاجية الشّمسية "، ويقولُ لها : « يا " هيفاء " .. أنا أريدُك قريبةً منّي، لا بعيدةً عنّي ...» ..

- ماذا تقصدُ أيها " الحاكم قارون " ؟

أجاب : « أن تكوني معي .. أريدُك معي هُنا، ليلاً ونهارًا ! »..

- لا أيها " الحاكم قارون " .. أنا لا أحبُّ السياسة .. أنا عالمة ..

أشتغلُ في العلم فقط .. وإذا كنتُ سأقضي الليل، فلن يكون ذلك إلا في أحضان عالم .. السياسيون مُزعجون .. مُقرفُون .. لا أحبُّهم .. والنّوم مع أيّ منهم، لن يجلُبَ لي إلا الكوابيس ! » ..

وضحك " الحاكم قارون " : « أنت هكذا رائعة .. أنا مُعجبٌ بردُودك الصادّة .. فتعقّلي .. العلمُ لا يكوَن بدون سياسة .. فادْركي أن من المصلحة العامة أن تندمجَ العَالمةُ في أحلام السياسي ! » ..

وضحكت " هيفاء " : « لا علاقة لهذا الاندماج بالمصلحة العامة .. وإذا كنتُ فعلاً سأندمج، فأكيدا في غير أحضان السياسي ! » ..

وخرجتْ من " الحكومة العامّة " في منتهى التّوتُّر ..

□ ما زالت " هيفاء " على حالها ..

وزغرودةٌ تصلُ إلى مَسْمعها من " المرّيخ " ..

هي " عبلة " تُزغردُ وتكلّمُها في الهاتف : « كيف حالُك يا حبيبتي ؟ » ..

تظاهرتْ " هيفاء " أنها لا تشُكُّ في علاقتها بالعَالم " الوسواس "، فأجابتها : « الحمدُ لله، نحن بخير، وأنت كيف حالُك ؟ وما الجديد ؟ » ..

قالت : « كتبتُ عدة رسائل إلى " سَليمان " فلم أتوصل منه بأيّ ردّ .. فهل هو بخير ؟ » ..

أجابتها : « إنه في " دار الغاضبين " .. فقد آلَمَهُ غيابُك .. حاولي الاتصالَ به هناك ! » ..

- أرجوك يا " هيفاء " أن تُخْبريه أنّ قلبي معه !

واستغلّتْها " هيفاء " فرصةً لأنَ تسألها بطريقتها الهزلية : « قلبُك معه، وجسدُك مع من ؟ » ..

ارتبكتْ " عبلة " ، وردّتْ : « جسدي مع الفراغ .. هل تفهمين ؟ جسدي يعتصرُ الفراغ .. لا أحد في جسدي إلا الفراغ .. الفراغ .. الفراغ ... »..

ثم انقطعَ الاتصال ..

وأدركَتْ " هيفاء " ألاّ علاقةَ لها بالعالم " الوسواس "..

وعندها، قرّرتْ أن تكتُب إلى " الوسواس " سؤالاً واحدًا : « كيف أحوالُكَ في الكوكب الأحمر ؟ »..

وأطلقت السؤالَ في عُنوانه على شبكة الاتصالات الكونية ..

وبعد حين جاءها الرّدّ : « يا ابنةَ الشمس ! وَ صلَني إشعاعُك .. أنت حُلمٌ جميلٌ لكنك بعيدة .. بعيدةٌ جدا .. وقريبة .. قريبةٌ جدا .. وهأنذا أضمّد الجراح ... وأرنُو إليك بشوق .. بلهَف .. وأستحضرُ عينيْك .. فيهما البحرُ والسماء .. وأرَى الحياة .. فيها اثنان يتنافسان : الشكلُ والجوهر .. ويقول الشكلُ بكبرياء : " أنا معناكَ أيها اللفظ .. أنا جسمُك أيها اللباس .. أنا حُسنُكَ أيها الحُسن " .. فمتى ألقاكِ يا رقّةَ الوجود؟ متى ألقاك يا " هيفاء " ! »..

وكتبتْ إليه : « هل حوّلتْكَ السماءُ إلى شاعر ؟ »..

ثم جاءها الرّدّ : « أجل يا " هيفاء " .. حوّلَني بعادُك إلى شاعر يحلُم بالمرآة .. أنت المرآةُ مخدّتي .. حديقتي الفيحاء .. في أزهارك ورياحينك أجُول .. وعلى صدْرك الحنُون أنسى .. ومن ثدْيك الفيّاضِ أرضعُ الآمال .. وفي عينيْك أسابح الآفاق .. منك يا مرآةُ أرْحلُ في المعاناة .. والعناد .. والطمُوح .. وعلى بساطك الوردي أعاينُ العوالمَ الساحرة .. منك أنطلق .. وإليك أعود .. أنتِ طريقي .. ومتاعبي .. وأشواقي .. وأنت

محطّتي » ..
كتابات " الوسواس " كاشفة ..
تكشفُ أنه يصرخ ..
ويُناديها بصوت أعلى من الصراخ ..
إنهُ التّناجي بين الأرض و" المرّيخ " ..
إنها الحياةُ تنطقُ بالحياة بين الأرض و" المرّيخ " ..
وكتبتْ " هيفاء " : « من قلبك جاءتْني رسالة .. غمرتْني .. سحرتْني .. هي ساطعةٌ كالبدر في كبد السماء.. وسعيتُ لأن أحرّر الجواب .. هيهات ! الكلماتُ متحجّرة .. وليتك تعلم .. يا ليتك تُدرك أنك الأقوى .. أنت أقوى بالصّفاء .. إنهُ يرعدُ في كياني .. يُزلزل مكامنَ الإحساس .. ويقول : " لي عليكَ سلطان ! ".. وأطأطئُ الرأس .. أستسلمُ للصّفاء .. فيه رقّة .. هو ذا أنتَ في مملكة السّماوات ...»..
هي أيضا أصبحت شاعرة ..
ونفسيتُها تستعيدُ عافيتَها ..
وتبتسمُ للحياة من جديد ..
وتنفتحُ على مباهجها ..
وفي غمرة الانشراح، زارت " بيت الضائعين " .. تكلمت إلى " سليمان " .. أخبرَتْهُ أنهُ حاضرٌ في السماء، بأعماق قلب " عبلة " ..
حفزتهُ " هيفاء " على تحرير جواب لها ..
وقالتْ له : « رسالةٌ منكَ يا " سليمان " قادرةٌ على إحيائها من جديد .. إنها قلقةٌ عليك .. تُفكّرُ فيك .. تتألّمُ لبعادك .. فعُدْ إليها .. كُن معها .. فقريبًا ستكون هُنا، معك .. إن الرحلة لن تطول .. قريبًا سوف تعودُ

" عبلة "، وسوف يعودُ " الوسواس " .. أعزُّ الناس إلى قلبي ... » ..
جحظتْ عينَا " سليمان " : « " الوسواس " أعزُّ الناس إلى قلبك ؟ » ..
- نعم .. وهو يُكاتبُني مرات كُلَّ يوم ..
واستنتَجَ " سليمان " أن قلبَ " عبلة " ليس مع غيره ..
فغادر " دار الغاضبين " وعاد إلى منزله .. وهناك كان الروبوت " الخادم " وحيدًا حزينًا ..

□ وصلتْ دوريةٌ بوليسيةٌ إلى منزل " هيفاء " ..
أخبرتْها أنها من الآن فصاعدًا ممنوعةٌ من الخروج ..
ثم قطعتْ كل أجهزة الاتصال، ووضعتْ حارسًا روبوتيا في الباب ..
أصبحت العالمة في " المزاجية الشّمسية " مقطوعة عن العالم الخارجي ..
لا أحد يتّصلُ بها .. ولا هي تستطيعُ الاتصال بأحد ..
لم تفهم سببًا واحدًا لسجْنها في منزلها ..
قال لها الحارس الروبوتي : « لست وحدك موضوعة تحت الإقامة الإجبارية .. كلُّ أعضاء " مجلس الفُهَماء " موجودون الآن في منازلهم، وتحت المراقبة الشديدة .. غيرُ مسموح لهم بأي اتصال أو استقبال » ..
من يا تُرى يقفُ وراء هذا الحصار التّعسُّفي ؟
استعرضتْ في مخيلتها كل الاحتمالات، فلم تجد إلا " الحاكم قارون " ..
هو وحدهُ يستفيدُ من إزاحة العُلماء .. وهذا بدا واضحًا في آخر لقائها به، عندما دعاها إلى جواره، حيث قال : « أريدُك معي هُنا، ليلاً ونهارًا ! » ..
كانت تلك الكلمةُ إشارةً واضحة إلى أنهُ يُخطّط لأمر ..
لا شكّ أن " الحاكم قارون " مُنْزعجٌ لشساعة الفكر لدى العُلماء ..

وضعتْ يدها على خدها ثم سرحت في تفكير عميق : « إذا كان هناك من يمكن أن يستفيد من سجن العلماء، فهو " الحاقد " الذي هو يظهرُ معهم بوجه، وفي الخفاء يتصرّفُ بوجه آخر .. فأمامهم كان معي بأسلوب، وفي الخفاء كان له أسلوبٌ آخر .. إنه متضايق من كون عقول علماء " مجلس الفُهماء " ذات مساحة كبيرة ينشطون فيها بخيالاتهم، وبلا لفّ ولا دوَران .. وهذا ما يميّزُ هؤلاء عن سياسيي هذا الزمن .. فسياسيونا مصابون بعُقدة النّقص في تواصُلهم مع العلماء .. ولا تفسير لهذا إلا كونهم يفتقدون الضمير .. وسعة الأفق .. والثقة في النفس .. إنهم ببساطة مُنافقون، مُخادعون، لا يُتقنُون إلا النميمة وحبْك المؤامرات لبعضهم ولغيرهم »..

ووقفَتْ " هيفاء " في غُرفتها ..

أطلت من نافذة منزلها المحاصر، كانت مجموعةٌ من العسكريين تدخلُ من الباب ..

أدّى الحارسُ التحية الروبوتية، وفتح الباب ..

دخل عليها ضابطٌ مُتشنّجُ النظرات، هو أيضا من الشّبّان الروبوت الحديثي التّخرُّج من " دار انتزاع الاعترافات " ..

فتح المحضرَ الإلكتروني، وسألها : « ما علاقتُك بالمسمى " الوسواس " ؟ »..

أجابتْ : « علاقةُ عالمة بعالم .. نحنُ معًا نخدُم وطنَنا » ..

قال : « أنتُما مشكوكٌ فيكما .. لا شكَّ تخدُمان جهات مجهولة .. فحتى مُراسلاتُكما ليست واضحة .. فيها ألغاز بعيدة كلّ البُعد عن العواطف .. نحنُ نعرفُ المصطلاحات المستخدمة في التواصُلات العاطفية، ولا تنطلي علينا الحقيقة الانجذابية بين امرأة ورجُل .. فهل

علاقتُكما علمية أم غرامية ؟ أم خلفهُما أهدافٌ أخرى ؟ »..

أجابتْ : « لنا أهدافٌ أخرى ! »..

وسأل : « ما هي ؟ »..

قالت : « هي منعُ أي تسلُّل من مُتحاربي مُحيط " زُحل " إلى حياتنا اليومية على أرضنا .. وفي هذا السياق، دعانا " الحاكم قارون " إلى اجتماعات تلو أخرى، بعضُها في مكتبه، وأخرى في مقرّ " الحكومة العامّة " .. إنّنا واضحون، وليست لنا أيةُ أهداف سوى خدمة وطننا ! ! »..

عقّبَ الضابط : « هذه لُغةٌ برّاقةٌ تُخفي أهدافًا أخرى .. فهل تنوون فعلا إنشاء حزب سياسي ؟ »..

ضحكت عالمةُ " المزاجية الشّمسية " : « هذه فكرة جيّدة، فلمَ لا نُفكّرُ فعلا في إنشاء حزب أو حتى أحزاب سياسية ؟ »..

– وإذن، فالمسألةُ واضحة .. أنتُم تُعدُّون لقلب النظام السياسي، وتعويضه بنظام العلوم ؟

قالت " هيفاء " : « السياسةُ نفسُها علم، ولكنهُ علمُ التّحايُل والخداع .. هكذا تحوّلَ علمُ السياسة في هذا الزمن .. أصبح أداةً لخدمة فئة مُغرضة، على حساب المصالح العامة .. وأملُنا أن يستقيم علمُ السياسة ليخدُم البلد، بعيدًا عن الألاعيب التي لم تجُرّ علينا إلا المخاطر »..

– وإذن، فأنت ضدَّ النظام السياسي القائم ؟

قالت " هيفاء " : « أنا لستُ نشيطة في اتّجاه قلب النظام السياسي .. أنا نشيطةٌ في مجال تخصصي .. وتخصّصي يوحي إليّ أن العلوم كلُّها، بما فيها علم السياسة، يجبُ أن تشتغل كلُّها في اتجاه واحد، وهو المصلحة العامة .. وأرى أن العلوم كلَّها، مثل البشر، يجبُ أن تكون

متساوية، فيُنظرَ إليها لا بمنظار التمييز، بل بمنظار التساوي .. فلا يُعقلْ أن تطغَى السياسةُ على باقي العلوم »..

وقاطعها الضابط : « السياسةُ سيدةُ العلوم .. إنها الحاكمة .. والعلومُ محكومة ! »..

أجابتْ " هيفاء " : « هذا بالذات ما لا يقبلُه العِلْم .. العِلْمُ لا يقبَلْ أن يكون تحت أحذية السياسة ! »..

– أنت إذن، ضدّ السياسة ؟ !

– نعم، أنا ضدّ السياسة عندما تتعاملُ مع الناس بلُغة الأحذية .. فالسياسةُ تتوَهّمُ أنها فوق أية شبُهة، وأىّ خطأ، وأيّ انزلاق، وأن غيرها يجبُ أن يكون تحت أحذيتها !

وسألها الضابط : « هل أنت ضدّ السياسة أم ضدّ السياسيين ؟

قالتْ : « أنا ضدّ كلّ منهج مُنحرف »..

– ولكنك أيضًا في موقف مُعادٍ لنظامنا السياسي .. أنت ضدّ " الحاكم قارون " ؟ !

قالت : « من حقي أن أُكوّنَ لنفسي موقفًا من هذا المسؤول أو ذاك .. وأنا لا أقتحمُ خصوصياتِ أحد .. أنا أريدُ بلدي أجمل بلد، وأنزَهَ بلد .. هل فهمت ؟ »..

– فهمتُ أنكِ تعتبرين نفسك وحدكِ على صواب، فتسْمحين لنفسك بالتآمُر على " الحاكم قارون " !

قالت : « أنا لم أتآمر على أحد .. أنا عضوٌ في " مجلس الفُهماء " الذي أوكَلَ إليه " الحاكم قارون " مهمّةَ إصلاح أية عقبات في طريق التواصل بين الإنسان والروبوت .. وأنا خبيرة في " المزاجية الشّمسية " ..

وليست لي أيةُ مطامح سُلطوية .. أنا عالمة .. وعالمي هو وطني الذي أنظرُ إليه بمنظار أمّنا الشمس .. فلا تُقوّلني ما لم أقُل ! »..

- وهل تُفكّرين في إنشاء صحيفة ؟

قالت : « نعم، وفيها سأعبّرُ عن كل آرائي، كما سأنشرُ فيها حتى آراء غيري، ولو كانت آراءَ مُخالفة .. أنا مُقتنعةٌ بتنوُّع الآراء .. وإذا كان لي عدُوّ، فهو الطغيان .. والاستبداد .. والانفراد بتقرير مصير البلد .. هذه أنا .. ومن لا يقبلُني، فليذهبْ إلى الجحيم ! »..

وعلّقَ الضابط : « أنا ذاهبٌ إلى هذا الجحيم .. وهناك سوف تلحقين بنا ! »..

وأغلقَ محضرَهُ الإلكتروني، قائلاً : « أنتِ في قفص الاتهام .. ستُنْقَلين من الحصار المنزلي إلى زنزانة " غسل الدماغ " .. فانتظري دورَك، لأن المغْسَلة مُنشغلةٌ حاليا بغيْرِك ! »..

ثم انصرف ..

□ ووصلتْ دوريةٌ بوليسيةٌ إلى منزل " سليمان "..

بدأت باستجواب " الخادم " : « من هي " عبلة " ؟ »..

- هي قلبُ " سليمان "..

- سنقومُ بإدخال تعديلات طفيفة على دماغك .. فهل تقبل ؟

أجاب " الخادم " : « لا .. فأنا هكذا مُرتاح .. أشعُرُ أنني أنا .. وأريدُ أن أبقى أنا، كما هو أنا، لا أن أتغيّر »..

قال المستجْوِبُ : « ستبقى أنت كما أنت، ولكن بدماغ آخر .. فلا تُقاومْ ! »..

حاوَلَ " الخادم " أن يُقاوم، ولكن فاتَ الأوان، فقد تمكن البوليسُ

من إحداث " شلل نصفي " في دماغه .. ثم دسُّوا في رأسه قرصًا في حجم ظفرِ إبْهامه .. وانصرفُوا ..

ولم يعرف " سليمان " ما حصل في منزله، إلا بعد أن انتصب " الخادم " واقفًا، وعيْناهُ جاحظتان : « لا تكذبْ يا " سليمان " .. قلْ كلَّ شيءٍ بوُضوح .. أُريدُ رأيَك الصريح في " الحاكم قارون " .. كيف تراه ؟ »..

تلَعْثَمَ " سليمان "، هو يعرفُ أن الربوت المنزلي إذا لم يُعتَنَ به العناية التّامّة، ويُحْمَ الحماية المطلقة من أيّ تسلّلٍ أجنبي، فإنه قد يتعرّضُ لتوجيه غريب، فتتغيّرُ شخصيتُه ويتحوّلُ من وديعٍ أليف إلي مُعاندٍ مُشاكس، وحتى إلي عدُوّ ..

خطر هذا ببال " سليمان " وهو يرى أمامه " الخادم " وقد تحوّلَ إلى بوليسي يَأمُرُه بالإجابة : « لا تكذبْ يا " سليمان " .. إذا لم تُجبْ، وبوضوح تامّ، وبصدق، فإنّني سأنتزعُ منكَ الاعترافات انتزاعًا .. وإذن، تكلّمْ! كيف ترى " الحاكم قارون " ؟ »..

قال " سليمان " : « لقد تغيّرَ عمّا كان عليه في بداية حُكمه ! »..

- وكيف تغيّر ؟

أجاب : «كان في البداية طيّبًا، خدومًا، مُحبًّا للمصلحة العامة .. وكان يستشيرُ الخُبراء والعُلماء ومن يتّسمون بحُسن النّوايا .. واليوم هو يحاربُ هؤلاء، وينهجُ حُكمًا انفراديًا .. إنه يُسجّلُ صفحات سوداء في تاريخ البلاد .. هي أولَى صفحاته السوداء، ولكنها صفحات كافية لتدمير البلد، وسحق كل مكاسبها الحضارية .. لقد تغيّرَ تغيُّرًا مُطلقًا، وأصبح هو نفسُه خطرًا على نفسه قبل أن يكون

خطرًا على البلد برُمّته .. ونجدُ في أولى صفحاته السوداء اختطاف الدكتورة " هيفاء "، العالمة في " المزاجية الشّمسية "، التي لم يظهر لها أثرٌ لحدّ الآن، وأصبحت محور تساؤلات الناس وهمسات الروبوت .. ثم اغتال " الوزير الأكبر " السابق، " الروبوت فَرْقَاع "، كما اغتال " الغزال ولهان "، الخبير الروبوتي في " المزاجية المستقبلية "، وما زال يدفعُ كل يوم بالروبوت الذين لا يسيرُون على نهجه، إلى " الفُرْن المعدني العام ".. هو يقتلُهم عن سبق إصرار، ثم يبعثُ إلى ساحة الفُرن آدميين للبكاء عليهم .. ولا ندري متى يتوقّفُ عن إذكاء " دار انتزاع الاعترافات "، وممارسة سياسة " غسل الأدمغة ".. هذا رأيي فيه .. إنّني مثل غيري أتساءلُ عن البواعث الحقيقية لتغيُّره سلُوكيًا كلَّ هذا التّغيُّر المضرّ بنا جميعًا، من الصغير فينا إلى الكبير .. وحتى أنتَ أيها " الخادم " صنعَ منكَ بوليسيًا من نمط البوليس القمعي، المحارب لحُرية الفكر والتعبير، وحرية الإبداع العلمي .. إن هذا السلوك يقتلُ البلد، ويشلُّ كلَّ مظاهر الحياة فيه .. فاللهم قِنا شرَّ " الحاكم قارون " المندَفِع بنفسه إلى الانتحار، وبالبلد إلى الهاوية .. وعلى كل حال، وفي جميع الأحوال، فإنه لن يقتُل الحياة في البلد .. الحياةُ لا يقتلُها طاغٍ أو جبّار .. فما أكثر الجبابرة والطُّغاة الذين فعلُوا شرًا عظيما في أنفُسهم وفي شعُوبهم، لكنهم لم يعيشوا إلا أعْمارَهُم .. الطغاةُ دومًا عاجزونَ عن امتلاك أعمار غيرهم .. وهذه عظمةُ الحياة، وهي تُوزعُ الأعمار وفقَ نواميسها، ولا ترضخُ لإملاءات الجبابرة الظالمين الطُّغاة » ..

□ وهناك في مُستعْمَرَة " المرّيخ "، انتهتْ مُهمّةُ " الوسواس "..
فريقُه يُشرفُ على شحن التجهيزات التي جاء من أجلها ..
أكّدَتْ " عبلة " أن آخر التجارب كانت ناجحة : « لقد أثبتتْ أنّ بلدنا سيتوفرُ بها على شبكة مُهمّة لمقاومة أية تأثيرات آتية من مُتحاربي " زُحل " .. بفضلها سوف لن تتسرّبَ أيةُ تأثيرات مُخلّة بأجهزتنا الذكية في بلدنا »..
كان الفريقُ في محطة الإقلاع ..
وهذا روبوت يُسرعُ الخُطَى باتّجاه " الوسواس "..
همس في أذُنه بكلمات، ثم التفَت " الوسواس " إلى رفاق الرحلة : « انتظرُوني، فسوف أعودُ بعد قليل ! »..
ثم اختفى مع الروبوت في صاروخ عائم ..
وصل " الوسواس " إلى مكتب " مُقاومة تأثيرات زُحل "، الواقع على أمواج بُحيرة شاسعة، فوجد المديرَ في استقباله ..
بادرَهُ المدير : « تعالَ ! ادخُلْ بسُرعة ! »..
جلسَا وجهًا لوجه ..
وقال المدير : « إن تأثيرات " زحل " لم تعُد مُقتصرةً على الروبوت، بل وصلَتْ إلى كبار المسؤولين الآدميين في الأرض .. ويؤسفُني أن أُخْبركَ أن كبار العُلماء هناك تمّ الزّجُّ بهم جميعًا في السّجن .. أصبح " الحاكم قارون " في حالة خوف من العقول الآدمية .. ولا ندري ما العمل ؟ فهل أنتَ مُصرٌّ على العودة ؟ أم يُستحسَنُ أن تنتظر بعض الوقت؟ فكّرْ جيّدًا .. واستشرْ فريقَك .. ثم عُدْ إليَّ غدًا .. فإذا قرّرتَ الرحيل، فموعدُه هو الغد .. أما إذا قررتَ الانتظار، فعلينا أن نتدبّر

الأمر ونبحث عن حلول .. فنحنُ هنا لا نقبلُ أن نُغامر بإرسال تجهيزات علمية في غاية الدقّة لكي لا تجد هناك آدميين مؤهّلين للعمل بها .. فهذه أجهزةٌ مضادّة لانحرافات الروبوت، ولا يجوزُ أن يشتغل بها إلا الآدميون المؤهّلون .. فكّر جيّدًا .. وإلى الغد ! »..

أصيب " الوسواس " بالذهول، فما حصل لم يخطُر بباله، وما تصوّرَ أن " الوباء الروبوتي " يمكن أن ينتقل إلى " الحكومة العامّة "، وعلى رأسها " الحاكم قارون " شخصيا ..

أخبرَ أفراد الطاقم بما وقع في الأرض ..

وقال : « جئنا إلى مُستعْمَرَة " المرّيخ " للإتيان بتجهيزات لحماية الحياة من الروبوت، فإذا بنا أمام حالة معاكسة، وهي أن علينا أن نحمي الروبوت ومعهم العلماءُ والمفكرون والمبدعون من " الحكومة العامّة " .. إن " الحاكم قارون " قد زجّ بكل إخواننا وأخواتنا في السجن، وهو ينتظر عودتنا لإلحاقنا بهم .. فما رأيُكم ؟ »..

كانت " عبلة " ترتعش : « هل " سليمان " أيضًا من المعتقلين ؟ »..

– نعم .. الكلُّ معتقل، وعلى رأسهم خبيرتُنا في " المزاجية الشّمسية "، الدكتورة "هيفاء".. تصوّرُوا أنهم يعتقلُون أكبر دماغ عندنا .. تصوّرُوا أنهم في شخص هؤلاء العلماء الأفذاذ، يسجنُون كلّ علوم التطوير الحضاري !

– ما العمل ؟

أضاف " الوسواس " : « ما حدث على الأرض، فيه بصماتٌ سياسيةٌ محضة .. إنهم يضعُون السياسة في موقع مُعاد للعلم والعُلماء .. هذا خطير .. وعلينا أن نُثبت أن للعلم كرامة لا تُداسُ، وأنّه لا يَقبلُ أن يكون

تحت أقدام السياسة، وأن العُلماء قادرون على إجهاض كلّ مؤامرة سياسية » ..

وتعدّدت الآراء ..

وأعلنتْ " عبلة " : « نستطيعُ أن نشُنّ مُقاومتنا من هُنا .. فهل في تجهيزاتنا ما يسمحُ ببثّ تأثيرات مُعيّنة إلى بناية " الحكومة العامّة "، وتحديدًا إلى " الحاكم قارون " ؟ »..

أجاب العالمُ " الوسواس " : « عندنا تقنيات قد تسمحُ بذلك، ولكن لا نستطيعُ تجربتَها إلا بإشراف خبُراء من مُؤسسة "تأثيرات زُحل " .. وإذا وافقتُم جميعًا، فإنّني سأستشيرُ مُديرَها غدًا ! »..

وأجمعَ الكلُّ على ضرورة المقاومة ..

وعلى أن يتوجّهُوا جميعًا إلى مكتب " مُقاومة تأثيرات زُحل " ..

□ دعاهُم المديرُ إلى صالة مُغلقة، وأشعلَ الشاشة الحائطية ..

وقال : « الصورُ التي سنُشاهدُها التقطتْها عدساتُ الفضاء .. وهي صُورٌ واقعيةٌ لما حصل في بلادكم في خضمّ الحُكم المستبدّ » ..

وظهرَت في الشاشة سيارةُ نقل الأموات .. وتتبّعَت الشاشةُ السيارةَ إلى أن دخلتْ إلى ساحة " الفُرْن المعدني العام " .. وقف مجموعةٌ من الروبوت، فأدّوا نشيد الأموات، وخطب فيهم موظفٌ من بني آدم فقال : « فقدت البلادُ سيادة " الروبوت فَرْقَاع "، " الوزير الأكبر " السابق »..

ثم أُخرجتْ من السيارة قطعٌ كانت تُشكلُ الهيكل المعدني للمرحوم، وأدخلَها أحدُ الروبوت إلى غُرفة اللهيب ..

وقال الموظّفُ الآدمي في تصريح تلفزيوني : « إنّ سيادة " الروبوت

فَرْقَاع " لم يُمتْ .. فمن هذا الفُرْن سينبعثُ في هيأة أخرى .. هذا هو البعثُ في منطق المعادن الذكية »..

وبعد حين وصلت سيارةٌ أخرى، وأقيمت في الساحة نفسُ المراسيم .. وقال آدميٌّ آخر للتلفزة : « فقدت البلادُ خبيرًا عظيما في " المزاجية المستقبلية "، هو الغزالُ الصناعي، الدكتور " ولهان ".. مات في حادثة سيْر على الطريق، حيث كان سكْرانًا .. رحم اللهُ الفقيد ! »..

ثم أدخلَهُ أحدُ الروبوت، وهو قطعٌ معدنية، إلى غُرفة اللهيب التي سيُبعثُ منها كائنًا معدنيا آخر، في وقت لاحق ..

ووصلت سيارةٌ أخرى .. وهذه أُخرجَ منها الروبوت " الخادم ".. وقال آدميٌّ في حقّه : « كان رحمهُ الله من أوفَى عُملائنا .. قام بآخر أعماله خير قيام، وها هو مدفُوعٌ إلى رحمة النّار »..

وكتبت الصحافةُ عن قضية " الخادم "، وهي تُشكّكُ في ادّعاء أنه كان عميلاً ..

واستندَتْ إلى تصريحاتٍ أدلى بها " سليمان "، وفيها يصفُ ما وقع مع دورية البوليس ..

وبعدئذ ظهرَ في الشاشة " الحاكم قارون " وهو يستنطقُ بنفسه الدكتورة " هيفاء "، العالمة في " المزاجية الشّمسية "، في حديقة منزله ..

كانت تَصرُخ في وجه " الحاكم قارون " : « لماذا استَقْدَمْتَني إلى منزلك ؟ »..

أجابها بهدوء : « لأنني أريدُكِ هُنا .. فهُنا سنتفاهم .. وسنتّفق »..

- سنتّفقُ على ماذا ؟

قال " الحاكم قارون " : « على اقتسام الكعكة .. فإذا ساعدْتِني في

مُهمّتي، كما أريد، فإنّك ستستفيدين مع المستفيدين، وستكونين " السيدة الأولى " في هذا البلد .. فما المطلوبُ منك ؟ المطلوبُ هو أن تنسيْ ما تعلّمْتِه من علوم شمسية، وأن تنسي بتاتًا " المزاجية الشّمسية "، وتعملي على إتقان " المزاجية السياسية ".. أنت ضيْفتي في المنزل لمدة أسبوع، فإذا قررت الانضمام إلى " المزاجية السياسية " فسنرحّبُ بك، أما إذا تشبّثْتِ بالشمس، فلن يكون لك وجودٌ في هذه الأرض .. سنُرسلُك إلى لهيبِ الشمس .. فكّري جيّدًا ! »..

صرخَ " الوسواس " : « هذه مُساومة ! هذا ابتزاز السياسة تساومُ العُلماء في علمهم ؟ السياسة تُريدُ من العُلماء أن ينضمّوا إلى انحرافاتها ...»..

وقاطعَهُ مديرُ مكتب " مُقاومة تأثيرات زُحل " .. وطلبَ من الجميع التزامَ الهدوء، حتى لا تتسربَ أيةُ انفعالات من الشاشة إلى العوالم الخارجية ..

وقال : « لا شكّ أن " الروبوت فَرْقَاع " نفسَهُ لم يُمت موتة معدنية طبيعية .. لا شكَّ أنه قد أُعدم .. وهذا أمرٌ واضح من الوضعية المتوتّرة التي تمرُّ منها البلادُ حاليا، تحت حُكم استبْدادي شمُولي .. ومع ذلك، فإنني ألتمسُ منكم جميعا الكثير من هدوء الأعصاب .. فيجبُ أن نتدبّر الأمُور، لا على أساس استنتاجات، بل على أساس معلومات مؤكّدة، وبطريقة عقلانية .. إن شاشتَنا قد اتّصلَتْ بإحدى العدسات الفضائية .. وهذه الأخيرة ستبثُّ إلينا لقطات من المشهد العام للحالة في مقرّ " الحكومة العامّة ".. وبعد ذلك، سيكونُ لنا نقاشٌ في الموضوع، لاتّخاذ القرار المناسب »..

وشوهدت ساحة " الحكومة العامّة " وقد تحرّكت فيها مجموعة من الروبوت المسلّحين، كما شوهدت سادفُ إشعاعية وهي تحوم فوق ساحة " الحكومة "..

وشوهدتْ لقطات من مختلف ربوع البلد. وهي في حالة عادية فالأمنُ العامُّ فيها مُستتبٌ، ولكن فيالقَ مُسلّحة تتحرّك في محاور استراتيجية من البلاد، وهو مؤشّرٌ إلى احتياطات يتخذها " حاكم قارون " هنا وهناك، تحسُّبًا لأيّ احتمال ..

وانتقلَت الشاشةُ إلى الأجواء العامّة للعاصمة. فشوهدتْ تحرّكات غير عادية، من النوع الذي لا يحدُث إلا عندما تكون البلادُ في حالة طوارئ قُصوى !

وتبيَّنَ ألاّ مجال للانتظار، وأنهُ يتوجّبُ اتخاذُ موقف موحّد وحالاً.

أكد جميعُ أعضاء الوفد على ضرورة الشروع في المقاومة..

قالت " عبلة " بأسلوب حزين : « أقترحُ أن تكون مُقاومتُنا السّرية تحت اسم " الخادم " » !..

ثم تدخلَ " الوسواس " : « وأقترحُ أن تكون المقاومةُ الإسلامية تحت اسم المناضلة الكبيرة، العالمة " هيفاء " التي تُصارعُ السّرطانَ. " الحاكم قارون " هذا الأخير يُحاولُ أن يسحقَ كلَّ ما هو فكرٌ وعِلمٌ وحضارة »..

وبدأت المقاومة ..

□ قَدمتْ إلى البلاد لجنةٌ موسّعةٌ من الحُكماء، سياسيين وعُلماء كلُّهم تابعُون لهيأة " الحكومات العالمية "، بهدف تقصّي الحقائق ومُحاولة إيجاد مَخْرَجٍ سلمي للنزاع ..

استقبلَها " الحاكم قارون "، وأبْدى وجهة نظره في الأزمة القائمة بين السياسة والعلْم، ثم التَقَتْ ببعض المعتقلين، وعلى رأسهم العالمة الكبيرة " هيفاء "، الخَبيرة في " المزاجية الشّمسية "..

وبعدئذ عقدَت لجنةُ هيأة " الحكومات العالمية " جلسةً لبحث ما يتوجّبُ عمَلُهُ لإنقاذ البلد من هاوية مُحقّقَة ..

استهَلّ الجلسةَ رئيسُ الحُكماء قائلا : « مُهمّتنا دقيقة، لأنّنا بين طرفيْن قويّيْن، لا غنى لأحدهما عن الآخر، ولا تستطيعُ البلادُ أن تستغني عن أيٍّ منهُما، باعتبارهما بثمابة سكّتيْ حديد، على خطّيْن مُتوازيين، كلاهُما ضروريان لسيْر القطار .. وسنُناقشُ الخلافات القائمة بين الطرفيْن لمحاولة ضبط مواقع الخلَل، وبالتالي البحث عن نُقط الخلاف ونُقط التقارُب والالتقاء .. هدفُنا هو الحقيقة، ولا شيء سوى الحقيقة .. وسنكونُ حياديين.. لا نحنُ مع الطرف الحاكم، ولا مع الطرف العالم .. وفي نفس الوقت، نحنُ معهُما معًا، ما دام هدفُنا هو تطويقُ الخلافات، ومنعُ حدوث مزيد من التّردّي »..

وتحدّثَ عُضوٌ من اللجنة : « أرى أن المُبادرة الأولى يجبُ أن تأتي من " الحاكم قارون "، فيُطلقَ سراحَ العالمة الكبيرة " هيفاء "، وكُلَّ المعتقلين، بمن فيهم الشخصياتُ الروبوتية .. وبعدئذ، ستأتي مبادرةٌ من الطرف الآخر، وهذه تتمثلُ في تهدئة الوضع، واستئناف الأنشطة العلمية التي أصبحت الآن شبه مشلولة، وبالتالي باتت مسيرةُ البلاد مُهدّدَة على كل الأصعدة.. وإنّني لا أرى مُبرّرًا لهذا الصراع بين العُلماء والسياسيين، خاصةً وأنّهُما معًا مُتكاملان في تنمية البلد .. وإلى أمد قريب، كان الطرفان يتعاونان، وتربطُهما علاقاتُ احترام مُتبادل .. لَستُ أدرى ما

حـدَث، علما بأن الـذي حصل قـد حـصل بسُرعـة، وبدون مُـقدّمـات، فاحـتدَّت العلاقاتُ بـين الطرفيْن وتحوّلَ الوضعُ إلى هدم وتخـريب، فإلى اعتـقال وشلٍّ للنشاط العلمي .. لأول مـرة، نجدُ السيـاسيين في مواجـهة مفـتُوحـة مع العُلماء، علمًـا بأن العهـود الماضيـة كانت صـراعاتُهـا دائماً مـحصـورةً بين السيـاسـيين والسيـاسـيين، فكان العُلماءُ فـي مُختبـراتهم ومُدرّجاتـهم ومع مُؤلّفاتهم .. اليوم، أصبح العلماء قُوّة كبـيرة في البلد، فصارت السياسةُ غير مُرتاحة لانتشار النشاط العلمي »..

وتدخل أحدُ الحُكماء : « ليس في مـا سمعنا ما يُبرّرُ الصـراعات المدمّرة بين السياسيين والعُلماء .. فلكلّ طرف منهُما حقلٌ خاص يشتغلُ فيه، ومن المفـروض أن تُبْدي السيـاسةُ مـعهم تعـاوُنا حـضاريًا، لا أن تُمـارس سلوكَ الضّغط والكـبرياء والتّهـديد .. فالعُلمـاءُ لهم رأسمالٌ واحـدٌ هو كرامـتُهم الذاتية، وكـرامةُ نشـاطاتهم العلميـة.. وعندما تحـاولُ السياسـة إهانةَ العلْم، تُفسدُ العلاقة، ويصبحُ العُلماء مُستَنْجدين برصيدهم العلمي، بهدف صَوْن كـرامتـهم .. وأعتـقدُ أن هذا بالضـبطَ مـا وقع بين طرفيْن كـانا إلى الأمسَ القريب في مُنتهى التعاون، ولكن منْ فجّرَ هذا الصّراع ؟ ومن يقفُ خلفَه ؟ ومن لهُ المصلحة في إفساد العلاقات العلمية السياسية؟ هذه من الأسئلة التي علينا أن نبـحث عن أجوبةَ لهـا، لأنّني بكلّ صراحة، أشُكُّ فـي أن يكون ما وقع من إنتـاجٍ محلّي .. ألا تكون هناك جـهاتٌ أجنبيـة تستـفيدُ من تـعكير الأجواء السياسية العلمية في هذه البلاد ؟ »..

وتدخّلَت " الطبيبة لُبنى "، وهي رائدةٌ في علم " اللاّشعور الحقوقي "، فقالت : « من يعـتقدُ أن العلاقة بين الـسياسة والعلم كانت دائمـا جيّدة، يُخطئُ خطئًـا جـسيـمًـا .. العـلاقةُ بين الطرفـيْن لم تكُن أبـدًا مُتـوازنة..

السياسةُ دائمًا تستغلُّ العلمَ والعُلماء .. ودائمًا كان العُلماء يرضخون لرغبات السياسيين .. ومن فيهم يرفُضُ الرضوخ للأنانية السياسية، يُعتقل أو يُحاصَرُ أو يُهان، أو حتى يُعْدَم .. والتاريخ حافلٌ بالأسماء العلمية الكبيرة التي أقدم السياسيون على تصفيتها .. يجبُ ألا ننسى هذا الصراع التاريخي بين السياسة والعلم .. وهو صراعٌ كان دائما يوازيه صراعٌ آخر، وهذا يتمثّلُ في الحرب الخفيّة بين السياسة والدّين .. إن السياسة لا يهُمُّها لا دينٌ ولا علْم .. ولا مُتديّنون ولا عُلماء .. يهمُّها أن تحكُم .. وتحْكُمَ فقط .. إن السياسيين أنانيُّون، وعلى العموم مُنافقون، مُخادعُون، لا يَقْبلُون إلا من يخدُم أنانيتَهُم .. ولكم قتَلُوا من خيّرة رجال ونساء الدّين، وخيّرة رجال ونساء العلم، لسبب واه، أو لآخرَ أوْهَى .. يجبُ ألا تنطلي علينا الحيلة، فنعتبرَ أننا أمام صراع بين طرفيْن متوازيين .. الصراعُ غيرُ مُتكافئ .. إننا أمام ظالم ومظلوم .. قاهِر ومقهور .. ومن هذا المنظور يتوجّبُ أن نبحث عن حلّ ناجع.. وبتعبير آخر : الحلُّ هو إنصافُ العلْم .. إنقاذُهُ من طغيان السياسة ! » ..

وأخذ الكلمةَ رئيس الحُكماء : « أنا متّفقٌ مع " الطبيبة لُبنى "، فما كان للسياسة، مُمثلةً في " الحاكم قارون "، أن تُقدم على ما أقدمَت عليه من اعتقالات تعسُّفية وسحقٍ لمظاهر الحياة .. ولكن، ألم يَحْدُث هذا بمشاركة فعلية من العُلماء أنفُسهم ؟ ألم يتقرّر في اجتماعات " الحاكم قارون " مع " الوسواس " والدكتورة " هيفاء "، حجزُ كبار الأُطُر الروبوتية، وتحييدُ أنشطتهم ؟ ألم يتقرر ما تقرّرَ من سحق لكثير من مظاهر " المجتمع الروبوتي " ؟ ألم تتقرّر في اجتماعات الطرفيْن " رحلةُ المرّيخ " بقيادة العالم " الوسواس " ؟ وهل ننسى " مجلس الفُهماء " الذي ما

زالتْ رئاستُه تحملُ اسمَ العالمة " هيفاء " ؟ كلُّ هذه وغيرُها كرّستْ أمرًا واحدًا هو أننا اليوم في عصر شفّاف .. ليس فيه ما يُختزَن .. كلُّ شيء واضح .. الإنسانُ عارٍ تمامًا في هذا الكون الشاسع الرّحب .. وحتى الأفكار ترحلُ من مكانٍ إلى آخر، بوضوح وشفافية، ويلتقطُها من يشاء، كما يشاء .. وأقترحُ أن نستشيرَ " مرصد الأفكار الهائمة " »..

واتّفق الحُكماءُ على استشارة المرصَد ..

□ وفي الجلسة الثانية، أعلنَ الحداد :

لقد أمرَ " الحاكم قارون " بتدمير " مرصد الأفكار الهائمة "..

وأصدرتْ لجنةُ الحُكماء البيان التالي :

« خسارةٌ كبيرةٌ للبلاد، ولكلّ الحضارة ..

فأفخرُ ما تفخرُ به أيةُ بلاد في هذا العصر، هو وجودُ مثل هذا المرصد الذي يقوم بالتقاط الأفكار البشرية، وأفكار كل مُكوّنات الطبيعة، وضبطِها، وتنظيمها، حتى إذا بُحث عن إحداها، وُجدتْ وكان بالإمكان استخدامُهاَ لمعرفة الوقائع، واستخدامُها لتطوير الأفكار، اعتبارًا لكون الحضارة مبنيةٌ أساسًا على الأفكار ..

إن الفضاءات الكونية مليئة بالأفكار الراحلة من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى زمان ..

بعضُها يلتقطُها الناسُ هنا وهناك، دون أن يعرف أحدُهم الآخر .. وبعضُها يُبعثُ في رسائل صوتية أو مرئية أو مكتوبة، فتنتقل إلى كل أرجاء الكون .. وهذه أيضًا يلتقطُها " مرصد الأفكار الهائمة "..

خسارةٌ كبيرة أن يُقدم " الحاكم " على هدم تُراث فكري، شارك فيه

كلُّ الناس، من كلّ مكان في العالم ..

سلوكٌ مُدمّر ..

سلوكٌ أهبل ..

جريمةٌ فظيعةٌ في حقّ رصيد فكري يُعتبرُ الأساس في تطوير حضارة الخَلْق والابتكار، كما يُعتبرُ الأساس في حلّ المسائل والمشكلات التي يصعبُ سبرُ أغوارها بعيدًا عن هذه الثروة الفكرية العظيمة ..

وقد لعب هذا المركزُ دورًا خلاّقًا في الدفع بعجلة التطوُّر في هذه البلاد، وساهم مُساهمةً فعّالة في تطوير العلوم ..

العلومُ تطوّرتْ كثيرا، ولكن السياسة ما زالت مُتخلّفة ..

ويا حسرةَ على " مرصد الأفكار الهائمة " !

فهذا المرصد لا يصطادُ فقط أفكار بني آدم، بل حتى الرسائل الكيميائية التي تبعثُها الخلايا العصبيةُ إلى بعضها في دماغ الإنسان !

وأكثر من هذا، يصطادُ الأحلام، ويبحثُ فيها عن مظاهر الخلْق والعبقرية ..

ومن دراسة أحلام الناس، تمكن العُلماء من ابتكار آلات وأدوية واكتشاف عناصر جديدة، وبالتالي تطوير الحضارة العلمية في البلاد ..

جريمةٌ وأيةُ جريمة !

فهذا المرصد يتوفرُ على عدة أجنحة ..

ومن أجنحتها " جناح النوم ".. وهذا يبني على أساس اعتبار النّوم حافزًا للتفكير المبدع الخلاّق ..

إن ما وقع في " مرصد الأفكار الهائمة "، لا يعني إلا عجز السياسة في هذا الزمن عن تقدير هذا المرصد الذي لم يُشارك في رصيده مُفكرون

دون غيرهم.. كلُّ الناس عندهُ مُفكّرون .. كلُّ الناس فيه مُساهمون .. إنه تُراثٌ لا يجوزُ لأيّ كان أن يمسّ به ..

وما دام " الحاكم قارون " قد فعل، فهذا هو عينُ الإفلاس السياسي ..

وإذا كان هناك من أمل، فهو العلمُ والعُلماء ..

فكيف يسمحُ " الحاكم قارون " لنفسه بتدمير " مرصد الأفكار الهائمة " ؟ من أعطاهُ هذا الحقّ ؟

من أعطاهُ حقَّ تدمير مرصد فكري يتوقّعُ أحداثًا مُستقبلية قبل وقوعها، وذلك بفضل رصيده من الأفكار المتنوّعة النابضة بالحياة ؟ !

هذه أكبرُ جريمة !

وهذا أكبرُ مُجرم !

فمرصد الأفكار ليس بناية أدبية، بل هو تجميعٌ لأفكار وأحلام وآمال الناس.. إنهُ رسمٌ لخريطة السلام والوئام والتعاوُن بين البشر ..

هو مركزٌ يُمكّنُ الباحثين فيه من تخليق مشاريع ابتكارية جديدة ..

إنهُ مركزُ العلْم الحقيقي .. العلم الطبيعي ..

فيه علمُ ما قبل العلْم .. وما بعد العلْم ..

هو علم الحياة .. ومستقبل الحياة ..

ولكن، فَعَلَها المعتُوه .. دمّرَ الحاضر، لتعطيل المستقبل ! »..

□ أحدثَ ما حدَثَ هزّةً في كل أرجاء العالم ..

وحتى بعضُ السياسيين المنحازين للحاكم المستبدّ، احتجُّوا بشدّة .. ونُظّمَتْ مظاهراتُ احتجاج في البلاد .. وشنّ الناسُ إضرابات مُتتالية عن العمل ..

وأمرَ " الحاكم قارون " بسحق المضربين والمتظاهرين ..

وأكثر من ذلك، أمرَ باعتقال الحُكماء الذين أوفدَتْهم الحكومةُ العالمية لتقصّي الحقائق ..

واحتجّت مُختلفُ الأقطار ..

وأعلنَ الحدادُ في كل المواقع العلمية، استنكارًا لما وقع لمرصد تجميع الأفكار ..

وتحرّكتْ مُؤسّساتُ البلد ..

تحرّكَت الهيآتُ المنتخَبة، والأطُر العلمية، والأجهزة الاقتصادية، والفعاليات الأمنية، وغيرُها من الأعمدة التي تُشكّلُ " دولة المؤسّسات " ..

وهذه المؤسّسات الفاعلة متمركزة في البرّ والبحر والجوّ، وفي جهات شتّى من البلد، وكلُّها مُمثَّلةٌ في عاصمة البلاد، ومنها " مرصد الأفكار الهائمة "، و " درّاجات المهامّ الصعبة "، و" مجلس الفُهماء "، و" مجتمعُ الطيور "، ومجلس " المجتمع الروبوتي "، ودار " المزاجية المستقبلية "، ومؤسّسة " المزاجية الشّمسية "، وغيرها من أعمدة البلد ..

هذه المؤسّساتُ تُعبّرُ عن امتعاضها من " الحكومة العامّة " ورئيسها " الحاكم قارون " الذي يتجاهلُ " دولة المؤسّسات "، ولا يُعيرُ أيَّ اعتبار لدورِها الشّرعي، فيُحاصرُها حتى لا تقوم بالواجبات المنوطة بها ..

هو يتحدّى كلَّ المؤسّسات، فيدفعُ السياسةَ العامّةَ للبلد إلى مُصارعةِ مع المشاعل الفكرية والعلمية ..

حتى " مجتمعُ الطيور " المعروف بالتزامه الحيادَ السياسي، أصبح يُعبّرُ عن قلقه الشديد من الوضعية المزرية التي آلت إليها البلاد، بسبب هذا الحُكم الشمولي ..

كما يُلاحظُ بحسرة أنّ " الحاكم قارون " قد تظاهر في البداية باستشارة العُلماء والمفكّرين، ولكنهُ ما أنْ دوّنَ ما أشارُوا به، حتى انقلبت سياستُه رأسًا على عقب، فصار يضطهدُ هذه المشاعل، ويزجُّ بها في السجون، كما حبَسَ كلَّ " الروبوت الأحرار "، علمًا بأنّ سلوكاته الخفيّة بدأت تزكمُ الأنوف، حيث لم يعُد خفيا عن أحد أن " الحاكم قارون " قد أقام علاقات مشبُوه فيها مع عصابات فاعلة على " القَمَر "..

خرجَتْ كلُّ المُؤسّسات عن صمتها ..

وبدأت حتى الأحزابُ المتحفّظة، أو المتواطئة، تطعنُ في سياسة " الحاكم "..

□ وفي مُستعْمَرَة " المرّيخ "، برَزتْ أصواتٌ تُطالبُ بالاستقلال، خوفًا على مُنشآتها العلمية ممّا آلتْ إليه بعضُ مناطق الأرض التي أصبحت مرتعًا لحُكام طُغاة، ومنهم " الحاكم قارون "..

وعقدَ " الوسواس " اجتماعًا طارئًا مع أعضاء فريقه، وقال لهم : « المقاومةُ ناجحة .. فقد تمكّنتْ تجهيزاتُنا من استحضار " مرصد الأفكار الهائمة " .. كلُّ مُحتوَيات المرصد، هي عندنا مُسجّلَة .. نُسخةٌ منها مُسجّلَةٌ في دماغ مَرْكَبتنا .. وهذا إجراءٌ احتياطي قمتُ به، بتنسيق مع الدكتورة " هيفاء "، العالمة في " المزاجية الشّمسية "، باعتبارها رئيسةَ " مجلس الفهماء "، المشرف على تسيير المرصد .. وقد حصلتْ على مُوافقة كافّة أعضاء المجلس، باعتبار التسجيل إجراءً احتياطي، كي يتمّ اللجوءُ إلى النُّسخة المسجّلَة في حالة استشارات أو ضرورة من ضرورات الرحلة .. وإذن، فمرصدُ تجميع الأفكار، إذا كان مُختفيًا هناك، فهو حاضرٌ

هُنا، في المركبة.. ولي خبرٌ آخر، وهذا تُحدّثُكم عنه زميلتُنا " عبلة " ..

وقالت " عبلة " : « في إطار مُقاومتنا العلْمية، تمكّنّا من وضع فوهات " الدبّابة النّفسية " الموجودة على متن مركبتنا، في اتّجاه " الحكومة العامّة " .. وسنقُوم بعد قليل بإطلاق أشعّة العلاج النّفسي على كل الآدميين في الحكومة، بدءًا من " الحاكم قارونَ " .. واتّضَحَ من أولى التجارب، أن الشّحنة النّفسية ستصلُ سليمةً إلى هدفها، وهي عبارة عن أفكار وأشعّة .. الأفكار ستُحْدثُ تهدئةً في أية نفسية مُختلّة.. والأشعّة ستُصيبُ الأدمغة الآدمية المسؤولة في " الحكومة العامّة " بالشّلل الجزئي الشّفّاف، بحيث تُصبحُ عاجزةً عن اتّخاذ أيّ قرار .. وهذا يعني أنّ علينا أن نستعدَّ لإيقاظ إخواننا " الروبوت الأحرار " من السُّبات الذي أوقعَهُم فيه ذلك " الحاكم قارون "، وأن نُحرّك درّاجات الانقلاب في اتّجاه السجن، لنقل العالمة " هيفاء " و" سليمان " ومن معهما من أحرار البلد إلى مقرّ " الحكومة العامّة " للاستيلاء على الحُكم .. وأطلبُ من صديقي الروبوت المسؤول عن السلاح النّفسي، أن يتقدّم إلى مقعد القصف »..

تقدّمَ الروبوت، وابتسمَ ثم قال : « اسمحُوا لي بآخر المراجعات ! »..

وأخذَ يُراقبُ الأجهزة المثْبّتة باللوحة الضوئية أمامه، وبعد هُنيهة ضغط على زرّ القصف الأول، وقال : « بعد لحظات سيكونُ الشّلل الجزئي الشّفّاف قد وصل إلى دماغ " الحاكم قارون " وأعضاء " الحكومة العامّة " »..

والتفتَ " الوسواس " إلى الروبوت المسؤول عن الإيقاظ الروبوتي .. فتقدّم هذا الأخير، وجلس على مقعد القصف .. ضغط على زرٍّ ثمّ أعلن : « لحظات، ويستيقظُ إخوانُنا " الروبوت الأحرار " من سُباتهم »..

ثم أدارَ " الوسواس " وجهه صوبَ الروبوت المسؤول عن " درّاجات المهامّ القُصوى "، فضغط هذا الأخيرُ على زرّه، وأعلن : « بعد قليل، تتحركُ درّاجات الانقلاب، لإيصال العالمة " هيفاء " و" سليمان " ومن معهما من أحرار البلد إلى مقرّ " الحكومة العامّة "، لاستلام السلطة ».. و صفق الجميع ..

وقال " الوسواس " : « بعد الآن، سيعرفُ من عليهم أن يعرفُوا أنّ العلْم هو الأساس، لا السياسة .. وسيعرفُون أن العلْمَ لا يقبلُ أيَّ وجُود للسياسة، إلا إذا كانت هذه لا تخضعُ لمصالح ذاتية، بل للمصلحة العامة .. ثم إنّ علينا أن نضع نصبَ أعيُننا هؤلاء المسؤولين الكبار من الزاوية النّفسية : هل هُم مُتّزنُون ؟ هل هم مُتوازنُون عقليا ونفسيا وعصبيا ؟ إن السياسيين يبنُون شرعيتَهم على الأصوات الانتخابية، ولكن يجبُ أن يكُونَ فيهم للخبرة النّفسية رأي .. فلا يُعقلُ أن يتحكمَ معتُوهٌ في رقاب العباد .. هذه مسألةٌ يجبُ أن نبحث فيها بجدّ، عندما تنتهي المهزلة التي أوقعَنا فيها " الحاكم قارون " ! »..

□ أطيحَ بنظام " الحاكم " الطاغي ..

وأعلن أن هذا الأخير قد زُجّ به في السجن، بانتظار محاكمته ..

وتمّ إنشاءُ مجلس موقت للحُكم .. واتّفقَتْ أغلبيةُ أعضائه على أن ترأسَهُ " هيفاء " .. لكنها اعتذَرَتْ : « أنا عالمة، ومكاني هو المختبَر .. ضعفي في المختبر .. قوّتي في المختبر .. ومُستقبلي في المختبر .. وأرجو أن تختارُوا مسؤولاً آخر لرئاسة الحُكم الانتقالي »..

وبعد أخذ وردّ، تمّ الاتّفاقُ على " سليمان "..

وبرّرَ الاتفاقُ اختيارَ " سليمان " « بما يتميّزُ به من جدّية ونزاهة واتّزان وبُعد نظر » ..

ثم أخذ " سليمان " مكانه على رأس مجلس الحُكم الانتقالي ..

وأصدرَ بيانًا يدعو فيه إلى السلام، ويأمُرُ بإقرار الحُرية لكل الناس، ولكُلّ الروبوت، كبارًا وصغارًا، ومنهم كبارُ المسؤولين في هرم الدولة، الذين زُجَّ بهم وراء القُضبان ظُلمًا وتعسُّفًا ..

كما دعا البيانُ الرئاسي إلى إغلاق " دار انتزاع الاعترافات " وأيضا حمّام " غسل الدماغ "، وكذا " الفُرْن المعدني العام "، قائلا : « إنها من مظاهر الحُكم الاستبدادي البائد »..

ودُعيت العالمة " هيفاء " إلى التلفزة فصرّحتْ : « لقد مرّت البلادُ بأخطر مرحلة في تاريخها، وهي مرحلةُ الخلل النّفسي الحاصل في مقرّ الرئاسة .. ومن الآن فصاعدًا، يتوجّبُ على كل الناخبين، آدميين وروبوتا، أن يُدركوا أن تصويتهم على فُلان أو علاّن هو في حدّ ذاته مسؤوليةٌ جسيمة .. فيجبُ ممارسة هذه المسؤولية بكامل المسؤولية .. وأطالبُ الجهات المختصّة، مرةً أخرى، أن تسُنّ قانونًا يُحددُ شروطًا لاكتساب صفة النّاخب، ومن أبرزها الإدلاءُ بشهادة التّوازُن النفسي والعصبي والعقلي .. فإذا كان الناخبُ مُختلاً، فإنهُ لن يُصوّتَ إلا لمُختلّ .. ومن أجل اختيار مسؤولين في المستوى المطلوب، يجبُ أن يكون الناخبُون أيضًا في كامل قواهم العقلية والنفسية والعصبية .. مرة أخرى أطالبُ بإصدار هذا القانون الذي سيفرضُ على الجميع، آدميين وروبوتا، الإدلاء بشهادة التوازُن النفسي والعصبي والعقلي، قبل المشاركة في العملية التصويتية.. هذا ما يجبُ أن نسلُكَهُ بثبات وعزم ومسؤولية،

إذا كنّا نُريدُ فعلا مسؤولين في مُنتهى المسؤولية على رأس هذه البلاد .. أما إذا أردنا مُتهوّرين، ومعتُوهين، ولصوصًا، فإنّ التلاعُب بالانتخابات كفيلٌ بإفرازهم، وكفيلٌ بوضع حاضرِنا ومُستقبَلنا تحت أقدام أشخاص ليس مكانُهم في إدارة البلاد، بل هو في مصحّات عقلية ».

□ وفي مُستعْمَرَة " المرّيخ "، أقام فريقُ " الوسواس " احتفالاً خاصًا، وبعث برقية تهنئة إلى الرئيس " سليمان " .. وكتبتْ " عبلة " إلى " سليمان " رسالةً رقيقةً تُذكّرُه فيها بالأيام الجميلة، وتُعربُ فيها عن الأمل في أن تعود إليه، ويعُود إليها.. ثم تقولُ في الرسالة : « انتهى زمنُ الاستبداد، وجاء زمنُ التّوافُق بين السياسة والعلْم .. إنّ هذا التّوافُق هو وحده الضامن لاستمرارية البناء، بناء الحياة وبناء أدوات الحياة ... » ..

وأضافت " عبلة " بلُغة مرمُوزة : « رأيتُ في السماء غمامة حبلَى بينابيع الخَلْق .. يا غمامةُ أنت الرّقيقة .. فيكِ أشواقُ الحياة .. منك الأنهارُ تجري .. تمنيتُ لو أتسَلق إليك .. أنا لاَ أملكُ غيرَ التّمني .. بُوركْت يا غمامة الحياة ... » ..

وتوصَلّت بالرّدّ : « أنت غمامتي .. أنتِ الماءُ والاخضرار ... » ..

وتواصلتْ رسائلُ الأرضِ والسماء ..

وامتَدَّ الحنينُ المتبادل ..

وبدأ العدُّ العكسي لرحلة العودة ..

وفي مقرّ " الحكومة العامّة " استُقبلَتْ " هيفاء " من قبل الرئيس " سليمان "، ونبّهَتْهُ من تجهيزات بدأت تنتشرُ في مختلف الكواكب، وعلى نطاق واسع ..

وقالت : « هذه الأجهزةُ التي يُسميها البعضُ " الدبّابات النّفسية "، تُطلقُ موجات فكرية ولفظية وإشعاعية من بعيد، بهدف تغيير سلوكات بشرية، أفرادًا وجماعات .. وقد انتشرتْ، فصارت الكثيرُ من الجهات تتخوفُ من هذا الانتشار، لأن هذه " الدبّابات النّفسية " قد تقعُ في أيدي جهات يُمكنُ أن تُسيء استعمالَها، أو هي قد تستخدمُها لأغراض انتقامية أو عُدوانية .. فيجبُ التفكيرُ من الآن، وبسُرعة، في ابتكار " دبّابات " مُضادّة، قادرة على حماية الناس من أيّ تهديد .. وعلينا ألا نستبعد وصول هذه الأجهزة إلى عصابات هُنا أو هناك.. فقد قرأتُ في صحيفة " مريّخية " أن شركة تصنيعية قدّ أخرجتْ إلى الأسواق أجهزة صغيرة للتعديل النفسي .. وهذا يعني أن أيّ شخص يستطيعُ أن يقصف جارَهُ بإشعاعات وموجات فكرية ولفظية، فيُغيّر بذلك حالتَه النفسية، ووضعيتَهُ العقلية .. علينا أن نعمل بسُرعة، لنكون فعلاً قد استفدْنا مما وقع لنا »..

وعدَها الرئيس " سليمان " خيرًا، وعاد إلى اجتماع كان سيرأسُه، في إطار إعداد ميزانية من أجل " دار الغاضبين ".. والرئيسُ متعاطفٌ مع هذه الدار بالذّات، بحُكم أنه كان في وقت من الأوقات العصيبة واحدًا من نُزلائها ..

وكتبَت" هيفاء "، العالمة في " المزاجية الشّمسية "، إلى " الوسواس " تُعْلمُهُ بمَخاوفها من انتشار أجهزة القصف النفسي .. وقالتْ : « عندها لنَ تكون القدرةُ على اقتنائها وقفًا على الدُّول، بل تُصبح أيضًا بأحجام صغيرة، وبالتالي في مُتناول الخواصّ .. فالقُنبلةُ النّووية التي تزنُ أطنانًا، كانت في زمن مضى بيد أقطارٍ تُحسَبُ على رؤوس الأصابع، والآن

أصبحت بحجم أقلّ من قبضة اليد، وتُباعُ في الأسواق السوداء، إلى جانب المسدسات النووية الصغيرة ! » ..

أجابها العالمُ " الوسواس " : « لا شكّ أن الرئيس " سليمان " سيستوعبُ خطورة تسرُّب هذه الأجهزة إلى من لا يجبُ أن تصل إليهم .. إنها أسلحةٌ خطيرة .. فهي تُغيّرُ سلوك أيّ إنسان رأسًا على عقب، إذا ما أصيب هذا الإنسانُ برشقة واحدة ! » ..

وكتبتْ " عبلة " إلى الرئيس " سليمان " تُناشدُه الإسراع في إيجاد وسائل لمنع أيّ قصف نفسي، سواءٌ استهدفَ الأشخاصَ أو الجماعات ..

وكتبتْ لهُ أيضًا : « يا سيادة الرئيس .. يا رئيسي .. أنا عائدةٌ إليك ! » ..

وأجابها : « أنتِ رئيستي .. مكانُكِ في أعماق أعماقي .. فمتى أراك ؟ » ..

□ هذه مُستعْمَرَةُ " المرّيخ " ..

المركبةُ على منصّة الإقلاع ..

و" الوسواس " يُمازحُ " عبلة " : « وَقُودُنا من نمط خاص .. إنهُ وقودُ الرّوح ! » ..

ابتسمتْ " عبلة " : « ما أحوجَنا إلي هذا الوقُود ! » ..

قال " الوسواس " : « عندما نعُودُ إلى البلد، سنُبشّرُ بوقُود الرّوح .. ليت الناس يُدركون قدْرَه ! » ..

وأقلعت المركبة ..

ووقُودُ الرّوح على كل لسان في المركبة ..

هذا يقول : « إنهُ بلسمُ الأرواح العليلة ! » ..

ذاك يقول : « إنه طاقةُ الحياة ! » ..

آخرُ يُعلن : « هو عينُ الحياة ! »..

تعدّدَت الآراء، والكلامُ عن وقُود الرّوح يدور ..

وسألَت " عبلة " : « ومَن وقودُ " الوسواس " ؟ » ..

ابتسمَ : « وقُودي .. مَنْ هي هناك، في انتظاري .. الكلُّ يعرفُها اسمًا وشكْلاً، ولا أحدَ يعرفُها كما أعرفُها أنا .. هي مثلي من " وادي النّخيل " .. أناديها ابنةَ عمّي، فمَنْبَعُنا واحد .. في لاشعُورٍ واحد نلتقي .. وفي توجُّهٍ واحد نتحاور .. وإلى هدف مُشترك نحنُ سائران » ..

وصفق أعضاءُ الفريق على متن المركبة ..

وسألَتْ " عبلة " : « ومن هي ابنةُ عمّك ؟ »..

أجاب : « هي " هيفاء "، عالمتنا الشهيرة في " المزاجية الشّمسية " .. عرفتُها قبل أن أعرفها .. كانت طيفًا في أحلامي .. وذات يوم استفزّني الطيف .. وهزّني من الأعماق .. فأدركتُ أنها هي .. هي من أبحثُ عنها .. هي قَدَري .. رفيقتي في مسيرة البحث .. ولقد جمعَنا البحثُ عن عالمٍ أفضل، وحياة أفضل، لنا ولغيرنا .. أنا بها مفتُون ! »..

واهتزَّ السامعون : « يا لها من مشاعر قوية ! »..

ابتسم " الوسواس " وأضاف : « نحنُ من لاشعُور واحد .. ومن قرية واحدة .. من قريتنا استَمْدَدْنا عقليةً متشابهة من حيث الرُّؤى، وموحّدة من حيث الجدّيةُ والصدقُ والوفاء .. ولكنّ هذا التّوحُّد له جناحان، كلُّ جناح يُرفرفُ بطريقته، وفي تناسُق مع الجناح الآخر ... »..

وسألَهُ عضوٌ آخر في الفريق : « من أنت ؟ نُريدُ أن نعرف سيادة " الوسواس " أكثر .. ألا حدّثتنا عن حياتك ؟ »..

قال : « أرْضعتْني أمّي أن أرى الحياة بالمقلوب، وأتحسّس وجودَ مظاهر

خفيّة للحياة، بمُوازاة مع المظاهر الظاهرة .. وعلّمَني أبي الصّبر والتحمُّل، وعدمَ التوقُّف عن البذل والعطاء، مهما كانت التضحيات .. أبي كان رجُلاً طيّبًا، مُتعدّد المواهب .. كان نجّارًا وحدّادًا وفلاحًا وبنّاءً .. عدةُ صنَع كان يُتقنُها في كفاح مُستميت من أجل حياة مستورة .. كان مؤذّنًا للصلاة .. وكان شديدَ الولَع بمرافقة فُقهاء الخير والحكمة.. وكان يُرفقُني معهُ إلى مجالس المعرفة، ويُجلسُني إلى جانبه .. ومن تلك المجالس تعلّمتُ أن أكون رجُلا قبل الأوان .. وهذا ما يُفسّرُ كوني الآن رجُلا بكثير من أحاسيس طفل .. الطفلُ في نفسيتي لم يكبُر .. ما زال طفلاً يحلُم بكلّ ما هو جميل .. يحلُم بأن ينقُل من الخفيّ إلى الواقع كلَّ مستُور جميل قادر على تطوير حياة الناس.. ومن هذا الطفل القابع في أعماقي، أتأرْجَحُ بين الخفيّ والظاهر، وأعكسُ في كل أبحاثي وتصوّراتي أنّ لكل فكرة ظلاً، كما لكُلّ الأشياء الملموسة ظلال .. كلّ أفكارنا لها ظلال .. وبهذه الظلال أنا مُنبَهر .. عن مزيد من الظلال أبحث .. وأبحث .. واليوم أنا لستُ وحدي في الافتتان .. هي معي كل لحظة .. ..»..

– ومن هي ؟

قال " الوسواس " « " هيفاء " العالمة ! فيها الاتّزانُ والطيبوبةُ والرّقة .. وهي واقعية في تعاملها مع شؤون الحياة اليومية .. إنها الواقعُ الذي أفتقدُه في تفكيري المتأرْجِح بين المعقول واللامعقُول، بين الحقيقة والخيال، بين الجسم والروح .. هي تنطلقُ من الواقع في تعامُلها مع شؤون الحياة .. وأنا أبدأ من اللاّواقع .. أبدأ من الخيال .. وأعيشُ في رياضة الخيال .. الخيالُ مُنطلَقي وهدَفي .. هُنا نحنُ نتكامل .. أجدُ فيها ما ينقُصُني ..

فأستشيرُها في كل ما هو واقع .. أنا لا أعرفُ الواقع .. وإذا كنتُ أعرفُه، فـفقـط في جوانبـه الظّليلة .. إنـني أتعاملُ لا مـع الواقع، بل مع ظلّ هذا الواقع » ..

صـمتَ " الوسـواس " هُنَيْـهـةً ثم اسـتَطْرَد : « أعـتـبـرُني من جنس الكائنات المواكـبة للواقع .. طبـعًا أشتغلُ وأشتغل .. وأعانـي وأعاني .. ولكن عـملي الواقعي لا يستمـدُّ مُبرّرَ استمـراره وتفانيـه، إلا من الكائن الخيالي في أعمـاقي .. وهذا الكائنُ يُملي عليّ كيف أكون .. يُملي عليّ أنّ علينا تقويةَ دور الروح لتـوحيد الناس من خلال تحريرهـم عن بعضهم .. ويُملي علـيّ أن الصـراعـات بين الناس ناتجـةٌ في بعـضـهـا عن تضـارُب المصـالح، وفي بعضـها الآخـر هي صراعـاتٌ مُصطنعَة .. صراعـات بلا أسـاس .. تُدخلُ الكلَّ في دوّامـة من الخلل .. كـمـا تُملي عـلـيّ أن علينا جميعًـا أن نُحرّرَ عقولَنا وقلوبَنا، حتى لا نقع فريسـة للحروب التي تسعى في عصرنا هذا إلى السيطرة على أدمـغتنا .. أجل، إن أثمنَ ما في الوجود هو الدمـاغُ البشـري .. أولاء نحنُ أبناءُ الشـمس .. هكذا نحنُ بأعمـاقنا وتناقُضاتنا وتطلُّعـاتنا في عصر العلْم الذي أصبح سُطلة جبّارة .. فأحبُّ من أحبّ، وكرهَ من كـره، العلْمُ سُلطة .. وحتى لا تتـحوّل هذه السُّلطةُ إلى أزمة ثقة مع السيـاسة والدِّين، يجبُ نشرُ المزيد من العلْم، والمزيد من المعرفة، والمزيد من الوعي بحقوق الغير في أن يخالفَنا ويختلفَ عنّا .. إنّ الإيمانَ ليس أن تـقـول " أؤمن "، بل أن تقـول " أعـرف ".. ومـا أعظم المعرفـة عندما تكونُ في اكتـشاف المزيد من المعـرفة، على أرضنا الخصـبة التي هي غُصنٌ من أجمل أغصان شجرة الشمس .. وكلٌّ منّا يستطيعُ أن يجزم أنّ ما يعـرفُ له جذورٌ في قلبه لدرجـة أنهُ يُصبحُ هو نفسُهُ مـعرفة،

هو نفسُهُ مرآة لشمس الوجود .. إنّ كلّ فردٍ منّا يحملُ في أعماقه علم الحياة.. وعلمُ الحياة لا يُقرأ إلا من الحياة...»..

□ مفاجأةٌ في البلاد ..

خبرٌ مفاجئ ..

وتقطعُ التّلفزاتُ برامجَها لتُعلنَ أنّ مركبةَ فريق " الوسواس " مُصابةٌ بعَطب تقني، على الخطّ الفضائي الرابط بين القَمَرِ والأرض !

ولمْ يعُد للشاشات من موضوعٍ إلا مركبة " الوسواس " ..

وصار الخُبراءُ والمعلّقُون يُدعَوْنَ إلى نقاشات في برامجَ مفتوحة، ليلاً ونهاراً ..

وكان أولُ المتدخلين هو الرئيس" سليمان " : « ليس هناك ما يؤشر إلى أية خطورة على حياة عُلمائنا العائدين من رحلة " المرّيخ "، وفي مركبتهم تجهيزات علمية في غاية الأهمية .. من صميم القلب، نتمنّى لأعزّائنا أعضاء الفريق، وعلي رأسهم العالم " الوسواس "، عودةً بالصحة والسلامة إلى الأرض .. وقد وُضعت كل صُحون الرّصد الفضائي في حالة طوارئ، وبفضلها نتتبّعُ باهتمام خاصّ تطوّرات قضية المركبة »..

ورغم محاولة الرئيس " سليمان " تجنُّب الكشف عن مشاعره، نظراً لوجود " عبلة " مع أفراد الفريق، فإن دموعه قد خانتْهُ، وهو يرفعُ كفّيه إلى السماء : « اللهم احفَظْهُم لنا وللعلم ! »..

ثم تدخّلت الدكتورة " هيفاء "، العالمة في " المزاجية الشّمسية "، فقالت : « أجدُ صعوبةً في التّعبير .. وبإيجاز، نتّجهُ إلى السماء، طلباً من ربّ السماء أن يحمي أعزّاءَنا، ويُعيدَهُم إلينا بسلام ! »..

وتمّ تحويلُ " العدسة الوطنية " إلى تلسكوب " وادي النّخيل "، فبدت في الشاشة مركبةُ " الوسواس " نقطةً لامعة تسيرُ من يمين الشاشة باتجاه الغرب ..

وقال أحدُ المعلّقين : « ليس هناك ما يدُلُّ على أن المركبة في حالة خطر .. الواضحُ الآن أن المركبة قد انحرفت عن خط العودة إلى الأرض، ولكن ليس هناك ما يدُلُّ على أنها في حالة خطر، رغم أنّنا قد فقدْنا الاتّصالَ بها .. وربما هي تمرُّ في أجواء تمنعُ بثَّ واستقبالَ الرسائل .. يجبُ ألا نفقد الأمل، فربما يعودُ الاتصالُ معها من جديد » ..

وذكرت تلفزةٌ أخرى أن كل المراصد المقامة على كوكب القَمَر، وفي الأجواء المحيطة به، وكذا العيون الاصطناعية المتمركزة حول الكوكب الأرضي، تتَتبّعُ المركبةَ السائرةَ إلى الغرب، ويبدُو أنها انحرفت مرةً واحدة، ولم تستطع العودة إلى خطها السابق .. فما هو السبب ؟ هناك عدةُ احتمالات أُولاها أن يكون الربوت المكلف بالقيادة قد أصيب بخلل، فتدخلَ مساعدُه لمحاولة تصحيح القيادة، لكنهُ لم يفلَح .. وهُنا يُطرحُ تساؤلٌ آخر : لماذا لم يفلَح ؟ هل هناك عطبٌ يمنع إعادة المركبة إلى خطها السابق ؟ هذا هو الاحتمالُ الأول .. وهناك احتمالٌ آخر هو أن يكون مصدرُ ما وقع ليس آليا، بل بشريًا .. فهل أعطى العالم " الوسواس " أوامر خاطئة لروبوت القيادة ؟ وإذا كان كذلك، فهل كان " الوسواس " في حالة ما بين النّوم واليقظة ؟ وهنا أيضا يكونُ الأمرُ داعيا للاستغراب، خاصة وأن قيادة المركبة تخضعُ لمراقبة دقيقة، منها الحرصُ على تناوُل القائد البشري، ثم القائد الروبوتي، موادّ تمنعُ البشري من النوم أثناء القيادة، وتمنعُ الروبوتي من أية حركة، يدوية أو دماغية، قد تُغيّرُ اتجاهَ المركبة .. كلُّ الاحتياطات

مُتّخذَةٌ بعناية، ويبقى نفسُ السؤال يتردّد : لماذا انحرفت المركبة ؟ »..

وقالت مُعدّةُ برنامج خاص بالواقعة : « بعد احتمال الخطأ البشري، أو الخطأ الروبوتي، يأتي تساؤلٌ حاسم بشأن المركبة: إلى أين هي ذاهبة ؟ »..

وشكّلَ الرئيس " سليمان " خليّة مُراقبة مُداومَة، برئاسة الدكتورة " هيفاء "، بهدف البحث عن تقنيات قد تتمكّنُ من إنقاذ الموقف، وإعادة المركبة إلى الأرض ..

قالت "هيفاء " : « أمامنا مهلةُ يومَيْن لإنقاذ الموقف، وإلا فإنّنا، لا قدّرَ الله، سنكونُ قد فقدنا المركبة، وفقدنا أعزّاءَ غامروا بحياتهم من أجل العِلْم والوطن »..

وبدأت الخليّةُ تستقبلُ كلَّ المعلومات، وتقومُ بمُعالجتها، بحثًا عن مُؤشّر قد يُؤدّي إلى استكشاف الغموض الذي يكتنفُ الواقعة ..

وتمّ استحضارُ تسجيلات في " مصلحة الوثائق " بمقرّ " الحكومة العامّة "..

وتمكن بعضُ الروبوت المختصّين، وبتقنية القراءة السريعة، من استطلاع أوامر من " الحاكم قارون " الطاغي قبل تدمير " مرصد الأفكار الهائمة " ..

وأطلقَ الروبوت المعني أسطوانة التسجيل، فسُمع " الحاكم قارون " وهو يأمر أحد مساعديه قائلا : « يجبُ دسُّ هذا القُرص في دماغ مركبة " الوسواس " »..

وأجابهُ المساعد : « نعم، يا سيدي، سأفعل ! »..

هذا كلُّ ما يعني مركبة " الوسواس "..

وطلبَتْ العالمة " هيفاء " من " الحقّ العامّ "، باسم " خليّة المُراقبة المُداومَة "، أن يُستدعي " الحاكم قارون " قصدَ التّحقيق معهُ في " دار الحقّ " ..

وأُوتي به من السجن ..
وبدأ التّحقيق ..

□ وخرج الناسُ إلى " شارع الغفران "..
مسيرةٌ ضخمة .. وكلُّ العيُون مرفوعةٌ إلى أعلى ..
وخطب في الجماهير الرئيس " سليمان " الذي بدا عليه قلقٌ شديدٌ ممّا حصل ..

وقال : « ما زال هناك أملٌ في إمكانية استعادة المركبة بمن فيها .. فكلُّ المراصد تعمل في اتجاه الإنقاذ .. وقد أخبرَتْني الدكتورة " هيفاء "، رئيسة " خليّة المُراقَبة المُداومَة "، أنّ هناك إمكانات يُمكنُ استغلالُها .. ومن هذه الإمكانات التّخاطُبُ الشفوي بين " الوسواس " والمركبة .. ما زال بإمكان الدكتور " الوسواس " أن يتكلّم مع المركبة، شفويًا، فيأمُرَها بالتوجُّه لا إلى المجهول بل إلى كوكب الأرض .. وهناك إمكانيات أخرى .. والأملُ كلُّ الأمل، ألا يكون أطرُنا البشريون هناك في حالة إغماء أو فُقدان الذاكرة أو تنويم .. وهذه الاحتمالات ستجعلُنا نعتبرُ أن ما وقع ليس خطئًا تقنيًا، بل جريمة تعودُ إلى جهة سيكونُ علينا أن نبحث عنها .. حتى الآن، ليست لنا دلائل على جريمة، بل مؤشرات إلى إمكانية عودة الاتصال مع المركبة، خاصة وأن هذه مُبرمجَةٌ على رفض أيّ برنامج غير برنامجها الأصلي الذي حَدّدَ لها خط العودة إلى الأرض .. إنها مناعة تقنية ضدّ أية قرصنة مُحتملة .. ونطلبُ الله السلامة ! »..

وارتفعت الأصواتُ تطلبُ رحمةَ الله ..
ورَفْرفَتْ في الأجواء أسرابٌ من الطيُور، يقودُها الطائر " جُوبَا "..

وبعد تحليقات استعراضية نزلت في الشارع، وطار " جُوبا " إلى المنصّة ثم قال : « أيُّها الناس، أنا أعرفُ الفاعل .. لقد حدّثني عنه صديقي الدكتور " ولهان "، الغزال الخبير في " المزاجية المستقبلية " .. لا شكّ أنكم تتذكرون هذا الغزالَ الصناعي الوقور .. كان مُحاضرًا مُتألّقًا .. ولكن نهايتَه كانت مأساوية .. فقد دفَعَ به " الحاكم قارون " الطاغي إلى " الفُرْن المعدني العام " .. بهذه الطريقة أقدم " الحاكم قارون " على تصفيته .. أنا وحدي أعرفُ السبب .. فقد حكى لي قبل أيام من إذابته في هذا الفُرن أنهُ استُدعي إلى مقرّ " الحكومة العامّة " .. وهناك أمرهُ " الحاكم قارون " بدسّ قُرص في دماغ مركبة " الوسواس " .. رفضَ الغزال ذلك بعد أن علم أنّ الأمر يتعلّقُ بمؤامرة ضد أفراد هذه المركبة .. وأنا على استعداد للإدلاء بهذه الشهادة أمام " دار الحقّ " .. وبكل وضوح، أشكُّ في " الحاكم قارون " شكًّا مُطلقًا .. وأستغلُّها فُرصة لتوجيه نداء إلى كلّ إنسان وكلّ روبوت على هذه الأرض وفي الأجواء، وحتى في القَمَر أو مُستعْمَرَة " المرّيخ "، راجيًا عدمَ التّردُّد في تقديم أية شهادة من شأنها أن تكشف الحقيقة .. حقيقة الأُطُر العلمية المحاصرة في مركبتها التائهة في الفضاء »..

كلُّ الأنظار تتّجهُ إذن إلى " الحاكم قارون " المقبوض عليه بعد الانقلاب الأبيض ..

وظهرتْ " هيفاء " في " شارع الغفران "..

مُحيّاها تلَوَّنَ باصفرار واضح ..

تمشي بصعوبة، وكأنها تجرُّ خلفَها هموم الدُّنيا ..

كانت حزينة ..

وقالت لتلفزة مرّيخية : « أنا حزينةٌ مرّتين .. الأولى على كلّ أفراد الطاقم، وعلى رأسهم " الوسواس "، ابن العمومة، شريكي في عالمي اللاّشعوري .. والثانية على مركبة علمية تحمل خيرةَ من علمائنا .. وفي هذه المركبة، أجهزةٌ علمية غاليةُ الثمن، وذاتُ فعالية كبيرة .. إنّ خوفي على ضياع ثروة علمية لا يُضاهيها أيُّ خوف .. وإذا كانت مركبةُ " الوسواس " ضحيّةً لمؤامرة خسيسة، فإنّ هذه المؤامرة تستوجبُ تأمُّلاً خاصًّا، إذا كان من حبَكَها هو من كان عليه أن يحمي هذه الرحلة العلمية .. ولا تكفي مُحاكمةٌ أو عقوبةٌ لطيّ هذا الملف .. مرةً أخرى أكرّرُها لحضراتكم : يجبُ سنُّ قانون جديد يشترط التوازن العقلي والنفسي والعصبي لأيّ شخص مرشّح لرئاسة " الحكومة العامّة " .. وبخصوص أنباء المركبة، عَلمْنَا منذ قليل، وللأسف الشديد، أنه لا أمل في استرجاعها الآن .. ربما نتمكن من استعادتها خلال شهور قادمة .. وهذا يتطلبُ مجهودا تقنيًا جبّارا، وتعاوُنًا بين كلّ فعاليات الفضاء .. الوقتُ ليس في صالحنا، فإلى أن تتحرك الجرّاراتُ الفضائيةُ إلي المركبة، يكونُ أطْرُنا قد فارقوا الحياة .. هذه هي الحقيقةُ المُرّة المُتّضحة حتى الآن .. لماذا لا نستطيع إنقاذهم ؟ الجوابُ سوف يأتي على لسان " الحاكم قارون "، عندما يقفُ في قفص الاتّهام في " دار الحقّ " »..

ـ هذه " دار الحقّ "..

" القاضي " يَسْأل ..

والمتّهم " قارون " يُجيب : « أنا بريءٌ من كل ما نُسبَ إليّ .. لا علاقة لي بما وقع لمركبة " الوسواس " .. فأنا كنتُ متحمّسًا لهذه الرّحلة

التي اقترحَها " الوسواس " .. فقد اعتبرتُ أن من مصلحتي السياسية، ومصلحة بلدي، أن نشتري من مُستعْمرَة " المرّيخ " أجهزة تُعتبرُ في حدّ ذاتها حماية للبلد من الإشعاعات والموجات الصوتية والفكرية المُخلّة بالتوازُن البشري عندنا، نفسيًا وعصبيًا وعقليًا .. فكيف أتآمرُ على مشروع أنا أصلاً متحمّسٌ له، وفيه مصلحتي السياسية ؟ إن ما أسمعُه من اتهامات لا علاقة لي بها .. فابحثُوا عن غيري إذا لم يكُن هدفُكم الحقيقي هو إيجادُ كبش فداء .. ابحثُوا عن غيري إذا كنتم تبحثون عن الحقيقة، ولا شيء سوى الحقيقة .. ثم إن " الوسواس " كان صديقي، وكنتُ أعتمدُ على آرائه وإشاراته، وأيضًا على " مجلس الفُهماء " .. وهذا تعرفُه الدكتورة " هيفاء " حقَّ المعرفة، باعتبارها رئيسةً لهذا المجلس .. ولا يجوزُ لا لها ولا لغيرها استغلال ظروف الصراعات السياسية العلمية، لتوريطي في اتهامات لا علاقة لي بها .. فلمَ لا تكونُ " هيفاء " هي نفسُها من دسَّ في المركبة ذلك القُرص الذي شَلَّ كلَّ البرامج، ومنعها من العمل، وبالتالي عودة المركبة إلى الأرض .. فمن له المصلحة في عدم إرجاع المركبة؟ أنا ليست لي أيةُ مصلحة.. فقد انتهى عهدي.. لم يعُد لي أمل في استئناف النشاط السياسي .. وتبقى " هيفاء " ومن معها، ذوي المصلحة في فُقدان المركبة ومن عليها.. ولهذه الحيثيات وغيرها، ألتمسُ البراءة .. كما ألتمس الحكم بالإفراج عني فورًا، لأن استمرار اعتقالي ليس له أيُّ مُبرّر .. أنا مُعتقلٌ بدون سبب .. وهذا يتعارضُ مع دستور البلاد، ومع القوانين المعمول بها في كل كواكب المجموعة الشمسية .. فاطلقُوا سراحي، لأستأنف حياتي كمواطن عادٍ في بلادٍ أنا منها، وهي منّي ! »..

كانت هذه المداخلة في حدّ ذاتها مرافعة..

وبعد الاستماع إلى الشهود، وعلى رأسهم الطير " جُوبَا "، لاحظ مُمثّلُ " الحقّ العامّ " أن المتهم " قارون " كان في منصب الحاكم عندما تعرّض " مرصدُ الأفكار الهائمة " للتّدمير .. وأضاف أنه هو من أمر شخصيا بتدمير المركز .. وهذا الأمرُ قد ورد في بيان أذاعتهُ " لجنةُ الحكماء " ونشرتهُ مختلفُ المنابر الإعلامية ..

وأضاف : « إنه لم يقُل شيئًا عن التهمة الثانية الموجهة إليه، وهي دسُّ قُرص في دماغ مركبة " الوسواس ".. وهُنا أحيلُكم على شهادة المرحوم الغزال الروبوتي .. إنّ " قارون " لم يقترف جريمة واحدة، وهي تدمير " مرصد الأفكار الهائمة "، بل أضاف إليها جريمة أخرى، وهي محاولة تصفية أفراد طاقم المركبة، وحرمان البلد من رصيد علمي في غاية الأهمية .. إن " قارون " لم يكُن يتصوّرُ أنهُ آيلٌ حتمًا إلى السقوط .. لقد كان يعتقدُ أنه سيبقى في منصبه إلى أبد الآبدين، وبالتالي سيستبدُ بالحُكم .. ولكنه أخطأ الحساب، فقد انتهى إلى ما انتهى إليه سابقوه من المستبدّين .. إنّني أطالبُ بالإدانة، وأن تُنزل به أقصى عقوبة »..

واقتيد المتهم " قارون " إلى السجن ..

وأُدرِجت القضية للمداولة ..

□ وتمضي الأيام، ولا يجدُّ جديد ..

المركبةُ صمّاء خرساء .. وأيةُ مُحاولة للاتصال بها لا تُجدي ..

ومعلوماتٌ جديدةٌ تُفيدُ أنها تأخُذُ اتّجاهَ المدار الثابت حول كوكب الأرض، وأنها ستبقى في هذا المدار تدورُ وتدور، إلى أن ترتطم يومًا من

الأيام بالغلاف الجوي، فتتحول أشلاءَ مُتناثرة على الأرض ..

وأعلنت تلفزةٌ فضائيةٌ بأسلوب حزين : « للأسف، فقدْنا الأطُر .. فمن المستحيل فكُّ رموز المركبة، وبالتّالي يستحيلُ فتحُ لوحة القيادة فيها .. كلُّ المحاولات باءت بالفشل .. وحتى محاولات أصدقائنا لم تُعط نتيجةً إيجابية .. ومع ذلك سنواصلُ العمل .. وقد نتمكنُ في زمن لاحق من استعادة المركبة، لكنّنا لن نستعيد حياةَ الأطُر .. وإذا كان أطُرُنا ما زالُوا على قيد الحياة إلى هذه اللحظة، فإنّ بقاءهم مُحاصرين في مركبة سائرة إلى المدار الثابت، سيجعل مخزونَهم من الأوكسيجين والأغذية ينفُدُ شيئًا فشيئًا، ويجعلُ آلياتهم تفقدُ مقدُرتَها على مقاومة ظروف الفضاء، وعاجزةً عن الاستمرار في عملها التّقني على كل الأصعدة .. ويُمكنُ أن نقول رسميًا : نستطيعُ في وقت من الأوقات أن نستعيد المركبة، ولكنّنا حتمًا لن نستعيد حياة راكبيها من بني آدم »..

وأخذ النقاشُ مُنعطفًا آخر في كل الأرجاء ..

وقال معلّقٌ علمي : « تأكّدَ أنّ المركبة التي حسبناها أول الأمر هائمةً في الفضاء الكوني، تسيرُ حاليا باتجاه نفس مدار الكثير من الأقمار الصناعية، على عُلوّ حوالي 36 ألف كيلومتر من سطح الأرض، فوق خطّ الاستواء .. ومن هذا المدار، ستكونُ مرئيةً من بلادنا، في أوقاتٍ مُعيّنة، بواسطة أجهزتنا الرّاصدة »..

□ وفي مساء يوم دامس ..

طلعتْ " هيفاء " إلى سطح منزلها ..

هي الآن أمام مدينة الليل .. أعدّتْ مرصدَها للرؤية ..

تأمّلت السماء وهي تتلألأ بالنجوم .. هذه صفراء، تلك حمراء، أخرى زرقاء .. ألوانٌ وألوانٌ في سماء لا نهاية فيها لأعداد النّجوم ..

ضبطت مرصدَها على المدار الثابت، فرأتْ فيه نُقطةً لامعة : « إنّها هي ! مركبةُ " الوسواس " ! »..

بدأت الدموعُ تهطلُ من مُقلتيْها ..

ويداها تذهبان إلى هاتفها الكوني ..

لاشعُوريًا تُخرجُ الهاتف من سترتها ..

وتفتحُه .. تضغطُ على رقم " الوسواس "، ويا للمفاجأة !

" الوسواس " يردُّ عليها ..

ويقولُ إنهُ قد تمكّنَ من التّحكُّم في المركبة ..

وبدأتْ تصرُخ : « المركبةُ بخير .. " الوسواس " حيّ .. الرّكابُ عائدون ! »..

وهتَفتْ إلى الرئيس " سليمان " الذي كان يُعاني الضغطَ النّفسي المرتفعَ في مكتبه بمقرّ " الحكومة العامّة "..

وأوقفت التلفزاتُ برامجها لتُعلن : « بُشرَى إلى الجميع .. المركبةُ بخير .. " الوسواس " حيّ .. الرُّكّابُ عائدون .. إلى الأرض عائدون ! »..

وبعد حين، أدلى " الوسواس " من المركبة بالتصريح المتَلْفَز التالي : «لقد وقعت معركةٌ طاحنة بين قُرصيْن في دماغ المركبة .. إن القُرص " كُوكُو " الذي صنعتُه في وقت سابق ليكون مُراقبًا مُحايدًا لدماغ المركبة، قد تنبّهَ لتسلُّل قُرص غريب إلى هذا الدماغ .. الغريبُ قد نجح أول الأمر في شلّ جهاز التوجيه، وجعل المركبة عاجزةً عن الدوران، وبالتالي سائرةً في اتجاه واحد وهو الاتجاهُ المؤدّي إلى المدار الثابت .. وقد

أخبرني في الحال عن النشاط التخريبي لهذا الغريب، فأمرتُه بأن يُطلق عليه وابلاً من الفيروسات التي شحنتُه بها سابقًا، وأنْ يقوم في نفس الوقت بإيقاظ قُرص احتياطي في دماغ المركبة، ويتضمنُ برنامجا احتياطيا للرحلة .. ومن خلال الفصول الأولى للمعركة، تبيّن أن القُرص الغريب لا يعرفُ كلَّ أسرار الرحلة، ولا كل الاحتياطات الإلكترونية المعدَّة على أهبة للتدخل .. وفعلاً استعان " كُوكُو " بهذه الأدوات، وانتصر على العدُوّ .. وبحمد الله سنكونُ بينكم في البلد، ... فإلى اللقاء ! »..

كانت المركبةُ هذه المرة تأخذُ طريق العودة .. لقد فُكّت عُقدتُها ..

وبعودتها ستُعرفُ الحقيقة ..

حقيقةُ ما حصل ..

إن أثمنَ ما في الوجود هو الدماغُ البشري .. أولاء نحنُ أبناءُ الشمس .. هكذا نحنُ بأعماقنا وتناقُضاتنا وتطلُّعاتنا في عصر العِلْم الذي أصبح سُطلة جبّارة .. فأحبَّ من أحبّ، وكرهَ من كره، العِلْمُ سُلطة .. وحتى لا تتحوّل هذه السُّلطةُ إلى أزمة ثقة مع السياسة والدّين، يجبُ نشرُ المزيد من العِلْم، والمزيد من المعرفة، والمزيد من الوعي بحقوق الغير في أن يخالفَنا ويختلفَ عنّا .. إنّ الإيمانَ ليس أن تقول "أؤمن"، بل أن تقول "أعرِف" .. وما أعظم المعرفة عندما تكونُ في اكتشاف المزيد من المعرفة، على أرضنا الخصبة التي هي غُصنٌ من أجمل أغصان شجرة الشمس.. وكلٌّ منّا يستطيعُ أن يجزم أنّ ما يعرفُ له جذورٌ في قلبه لدرجة أنهُ يُصبحُ هو نفسُهُ معرفة، هو نفسُهُ مرآة لشمس الوجود .. إنّ كلّ فردٍ منّا يحملُ في أعماقه علم الحياة .. وعلمُ الحياة لا يُقرأُ إلا من الحياة ...